مسرحيات عالمية

الشياطين

چون هوايتنج

ترجمة وتقديم :
محمود محمود

المسرح العالمي



مسرحيات عالمية

١١

نصف شهرية

الشياطين

الوثنيـ

تأليف :

چون هوايتنج

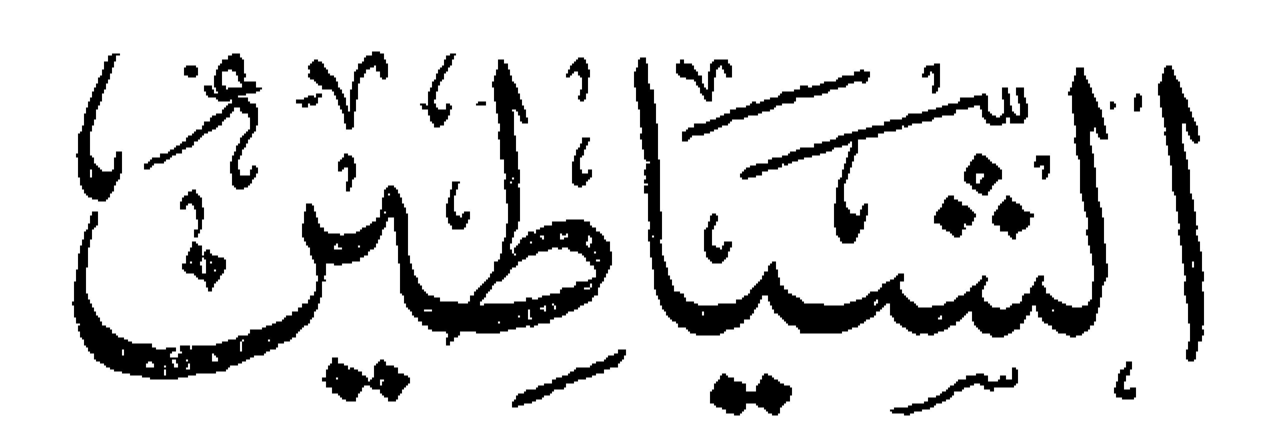
ترجمة وتقديم :

محمود محمود

أقرتها لجنة المسرح العالمى

المسرح العالمى
هيئة الاذاعة والمسرح والموسيقى
الدار القومية للطباعة والنشر
الثقافة والإرشاد القومى

أول أغسطس ١٩٦٥



The DEVILS

John Whiting

تأليف : جون هوايتنج

تعريب وتقديم : محمود محمود

مقدمة بقلم المترجم

كانت المسرحية دائماً فى تاريخ الأدب الانجليزى منذ نشأته قالباً من القوالب الأدبية التى يفرغ فيها الكاتب فلسفته وآراءه . وليس هذا عجيباً فى بلد خرج منه شيكسبير أعظم الكتاب المسرحيين قاطبة فى جميع الآداب .

غير أن تاريخ الأدب الانجليزى – برغم ذلك – يثبت أن المسرحية لم تكن لها الصدارة فى هذا الميدان . بل لقد كانت القصة فى أكثر العهود تبزها وتتفوق عليها . فهى كما يقول ليدل الناقد الانجليزى فى كتاب له عن القصة نشره فى عام ١٩٤٧ « الشكل النثرى الطبيعى الذى اختارته العقول الخلاقة منذ عهد رتشاردسن للتعبير عن الرأى وتحليل الشخصيات » . ولئن صدق هذا القول حتى منتصف القرن العشرين مع قليل من الاستثناء ، فهو لا يصدق قطعاً فى الفترة التى انقضت من النصف الثانى من هذا القرن ، وعلى وجه التحديد منذ عام ١٩٥٦ عندما مثلت لأول مرة مسرحية « أنظر إلى الوراء غاضباً » للكاتب المسرحى الحديث جون أوزبورن . ويمكن اعتبار هذه المسرحية حداً فاصلا بين القديم والجديد فى المسرح البريطانى .

وربما لم يكن مرد ذلك إلى أن هذه المسرحية قد أتت بجديد غير مسبوق . فقد تقدم نويل كوارد على أوزبورن فى الاتجاه الجديد . وإنما مرده إلى نجاح منقطع النظير حظيت به هذه المسرحية ، وإقبال الجمهور عليها إقبالا شديداً يدعو إلى الدهشة والعجب .

، فحفز هذا النجاح كثيراً من الكتاب المحدثين على الاتجاه نحو المسرحية يتخذونها شكلا للمضمون الذى يريدون الافصاح عنه ، وبدأوا ينصرفون عن الأقصوصة والقصة .

ولم تلق مسرحية أوزبورن هذه رواجاً فى بريطانيا وحدها ، بل لقد عبرت المحيطات إلى القارة الأوربية إلى أمريكا حيث ظهرت على المسارح هناك ، ولقيت من الاقبال مالقيته فى وطن المؤلف . ثم أخرجت فى فيلم سينمائى ، وكتبت قصة للقراءة لمن لاتتيح له ظروفه مشاهدة التمثيل.

ولم تكن هذه المسرحية مجرد بدعة جديدة لكاتب مبتدع مجدد ، فقاعة تنتفخ ثم تنطفىء بعد حين . إنما كانت شيئاً أكثر من ذلك . كانت أشبه بالعمل التجارى الذى يطرد فى نموه ويعود على صاحبه بالربح الوافر .

ومن أجل هذا أخذ الشباب من الكتاب يحذون حذو أوزبورن طمعاً فى الشهرة والمال . لأن نجاح المسرحية لا يقاس فقط بالاتقان الفنى ، وإنما يقاس أيضاً بمقدار ما تعود به من كسب مادى على كل مشتغل بها .

ذلك لأن المسرحية تحتاج بجانب المؤلف إلى عدد كبير من الفنيين الذين يشتغلون بالانتاج والادارة والاخراج والديكور وبغير ذلك من مستلزمات المسرح . وذلك يتطلب نفقات باهظة لابد أن يقابلها اقبال من المشاهدين لسد هذه النفقات .

ولم تبلغ المسرحيات الجديدة كلها بطبيعة الحال حد الاتقان ، غير أن المسارح أغرقت بالعدد العديد منها .

وأهم ما تميزت به استقلالها التام عن الأنماط القديمة ، بحيث لم تعد تخضع لقاعدة معينة ، أو لشكل معين فهى متنوعة فى طريقة الحبك وفى اسلوبها وعرضها للحوادث .

ومن ثم فنحن لانستطيع أن نقول إن مدرسة جديدة فى فن المسرحية قد ظهرت ، أو أن أوزبورن قد خط مذهباً جديداً للدراما ، أو أن الكتاب المحدثين قد تأثروا بكاتب وطنى أو أجنبى معين . بل إن الكاتب الواحد كثيراً ما يتحول من طريقة إلى أخرى فيما بين المسرحية والمسرحية .

لم تكن هناك حركة معينة لها مؤيدوها ودعاتها . وإنما كان هناك تحرر مطلق من كل قيد . ولعل ما يلفت النظر أن أكثر كتاب المسرحية الجدد من العمال أو من أبناء العمال .

وذلك لأن مسارح لندن كانت تتركز فى الحى الغربى منها — وهو الحى الراقى — فكان لا يرتادها إلا الطبقة الراقية ، أو الطبقة الوسطى . ومن ثم كان الكتاب الذين يشبعون أذواقهم ينشأون من بين خريجى الجامعات . أما فى السنوات العشر الأخيرة ، فقد أقيم كثير من المسارح فى الحى الشرقى من لندن — حى العمال — وحى الفقراء . فنشأ من بينهم من يمدهم بالمسرحيات التى تتفق وأذواقهم . فكان المسرحيون الجدد جميعاً من أبناء الطبقة العاملة مع استثناء جون آردن وجون مورتيمر ، وهما من الجامعين . واتجه بعض الممثلين إلى التأليف لأنهم أعرف بأذواق الجماهير .

ومن النقاد من يقسم كتاب المسرحية إلى واقعيين وغير واقعيين ، أو إلى اتباع بريخت واتباع ايونسكو . غير أنى أرى فى ذلك تجاوزاً للحقيقة ، وطغياناً على الشخصيات الجديدة الناشئة ومحاولة لإيجاد أوجه الشبه بينهم . فى حين أن أوجه الخلاف هى السمة الظاهرة فيهم .

ومهما يكن من أمر فقد كان فى كل عام منذ ١٩٥٦ يبرز كاتب من بين الكتاب المسرحيين وتعلو قامته عليهم . فكان أوزبورن فى ١٩٥٦ ، وبرندن بيهان فى عام ١٩٥٧ ، وشيلا ديلانى فى ١٩٥٨ ، وآرنولد وسكر فى عام ١٩٥٩

وقد كان هؤلاء يجلبون إلى مسارح لندن وإلى أضواء المدينة الكبرى ما كان يلاقى نجاحاً فى المدن الصغرى وفى الريف .

وإلى جانب هؤلاء وجُدتْ طائفة أخرى اتجهت نحو التليفزيون ، ومنهم كلايف اكستن وآلن أوين الذى بدأ فى الإذاعة ثم انتقل إلى التليفزيون ، وأخيراً إلى المسرح وكان منهم أيضاً هارولد بنتر .

وفى عامى ١٩٦٢ و ١٩٦٣ لعب (نادى الفنون المسرحية) دوراً هاماً فى الإحياء ، فظهر عن طريقه وبتشجيعه من الكتاب ردكن وفرد واطسون وميشيل كودرون . وقد أخرجوا مسرحيات شكسبير أخراجاً جديداً .

ولم يحصر هؤلاء مجالهم فى المسرح ، بل اتخذوا إلى جانبه الإذاعة والتليفزيون والسينما مجالا لعرض نشاطهم الفنى .

* * *

ولكنا إذا كنا نحدّ تطور المسرح الحديث فى بريطانيا بعام١٩٥٦ فلابد أن ننظر قليلا إلى الوراء لنرى الخطوات التى خطاها حتى بلغ هذه المرحلة . فإن الثورة التى تشتعل نيرانها بين يوم وليلة لابد لها من أسباب سابقة تدعو إلى تفجيرها .

من هذه الأسباب ظهور مسرحية (فى انتظار جودو) لايونسكو فى مسارح لندن فى عام١٩٥١ . ومنها تدفق المسرحيات الأمريكية الجديدة على بريطانيا ، ومحاولات أخرى بأقلام إنجليزية لتأليف مسرحيات جديدة ، أو لإحياء شكسبير . ومنها أيضاً الجهود التى بذلها ت . س . اليوت وكرستوفر فراى لإحياء المسرحية الشعرية قبل عام ١٩٥٠. ومنها مسرحية جريهام جرين التى أخرجها فى عام ١٩٥٣ وعنوانها « حجرة الجلوس » ومسرحيتا هنتر « مياه القمر » و « يوم فى عرض البحر » .

ولا ننسى في هذا الصدد أيضاً جهود الممثلين الذين تنبهوا إلى أن يقفوا فى ادوارهم مواقف طبيعية بعد ما كانوا يميلون إلى المبالغة فى الحركات وارتفاع الصوت .

غير أن هذه المحاولات – مهما تكن – كانت يسيرة محدودة . وقد اجتذبت الإذاعة كثيراً من الكتاب فلم يكن لهم أثر على المسرح . ولم تظهر فى المسرح الإنجليزى حركة تجديد وتطور مثلما حدث فى فرنسا وفى أمريكا .

ولعل من الاتجاهات الجديدة التى نلمسها فى بعض ما استجد من مسرحيات تاثرها بالمذاهب الجديدة كمذهب السير يالزم ومذهب اللامعقول .

ومن كتّاب هذه الفترة الذين مهدوا للمسرح الجديد دنيس كانان وجون هوايتنج مؤلف هذه المسرحية « الشياطين » التى ننقلها لقراء العربية فى هذه السلسلة . .

ولد جون هوايتنج فى عام ١٩١٧ وتوفى عن خمسة وأربعين عاماً سنة ١٩٦٣ . وقد لفت إليه الأنظار منذ أول ظهوره لأنه كان مجدداً إلى درجة الإغراق . ثم اختفى فترة من الزمان مغموراً ليعود مرة أخرى بمسرحيته « الشياطين » التى نالت من الجمهور إعجاباً شديداً . وقد بدأ حياته ممثلا كغيره من بعض الكتاب المحدثين . وأول ما كتب « شروط الاتفاق » التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة . ثم أخرج التليفزيون له « جولة فى الصحراء » . وقد دهش لها النقاد حتى قال أحدهم « ماذا يصنع هذا الرجل . أنه فوق الأربعين من عمره ، ولكنه يكتب وكأنه فى الثامنة والعشرين » . وأجابه هوايتنج بقوله « حقاً ما تقول. فإنى قد تغيرت كثيراً ، ولكن شيئاً أساسياً فى نفسى لايزال كما كنت أيام الشباب » . ومن مسرحياته أيضاً « يوم القديسه » و « ادفع بنسا لتسمع الأغنية » وهى كوميدية فى نثر شعرى .

وفيها يعده بعض النقاد من تلاميذ فراى الذى بعث المسرحية الشعرية فى العهد الأخير . وتجرى حوادث هذه المسرحية إبان حروب نابليون ، وأهم ما تحويه حوار بين رجل متآمر وعامل من عمال المطافىء . وقد ظهرت على المسرح فى عام ١٩٥١ ، ولفتت إليها أنظار النقاد بالرغم من أنها لم تنجح نجاحاً كبيراً لدى الجمهور ، ولم تعد على كاتبها بربح يذكر . وفى مباراة أدبية نظمها مجلس الفنون فازت مسرحية « يوم القديسة » وظفر بالجائزة الأولى عليها .

وقد أثارت هذه المسرحية ضجة فى الأوساط الفنية ، وانقسم النقاد بين محبذ ومعترض . ولكنها ــ على أية حال ــ كانت ذات طابع جديد ، وموضوعها هو الموضوع الذى يستهوى هوايتنج دائماً : تحطيم النفس أو افناء الذات . هى قصة كاتب مسن ينتابه شعور بأن الناس يتآمرون على قتله فى الخفاء وتنتهى بمماته . والحوار مشحون بالإشارات الأدبية والتلميحات الفلسفية . والحكاية معقدة فيها جانب من اللامعقول . ولكنها مثيرة متدفقة ، تدفع المشاهد معها إذا لم يتوقف ليتساءل ما هو الهدف .

وكتب بعد ذلك مسرحية « نشيد المشاه » فى عام ١٩٥٤ وموضوعها كذلك افناء الذات . وهى قصة قائد جيش يخير بين أن ينتحر أو يحاكم محاكمة علنية ويشهر به . ولما كان هذا القائد يشعر أنه ليس فى الحياة ما يعيش من أجله أقدم على الانتحار . وفى هذه اللحظة تجذبه إليها فتاة حسناء فتعيد إليه الرغبة فى الحياة . فتردد فى اختيار العيش مهما كلفه الثمن غالياً . وأراد أن يصل فى ذلك إلى قرار حاسم ، فغاص فى أعماق نفسه يتبين ما تنطوى عليه من دوافع ومن اعتزاز . وعاد بذاكرته إلى ماضيه فتذكر أنه كان يقاتل ذات معركة وكان لابد له فيها أن يتخلل بدباباته مجموعة من الأطفال ، فغلبت عليه إنسانيته وتخاذل فى الهجوم فخسر المعركة وخسر شرفه الحربى . وكشفت له هذه

الواقعة أن بكبريائه ثغرة ، فآثر لنفسه الموت وانتحر وهو هادىء النفس مطمئن الضمير .

وقد نجحت المسرحية فى تمثيلها ، بالرغم من أن الحركة فيها باطنه ، والعمل ليس مما يخرج عن نطاق الفرد ، أى أنها على حد تعبيره « تتعارض مع المسرحة » . وهى – برغم امتيازها – فاتره لا حياة فيها . كما كانت مسرحية « يوم القديسة » مغرقة فى الإشارات الأدبية والفلسفية كما ذكرنا ، ومسرحية « ادفع بنساً لتسمع الأغنية » تعوزها الحوافز ودفعة الحياة برغم جدتها وسحرها الفاتن ... أى أن هذه المسرحيات كانت فى كلمة موجزة لا تسر إلا نفراً قليلا أعد إعداداً فنياً معيناً ولا تكتسح الجمهور العادى الذى لم يدرب تدريباً فنياً خاصاً .

فلما كان هوايتنج على المسرح إلى الاخفاق أقرب منه إلى النجاح اختفى عن الأنظار سبعة أعوام . قضاها فى كتابة الحوار للأفلام السينمائية ، وكوميدية مريرة عنوانها « أبواب الصيف » طافت فى الأقاليم ولم تبلغ العاصمة ، وتمثيلية قصيرة قليلة الأثر قدمها للتليفزيون تحت عنوان « شاهد عيان » . ثم عاوده الحنين إلى المسرح فجرب قلمه من جديد فى عام ١٩٦١ فى كتابة مسرحية جديدة ، وهى « الشياطين » هذه التى نحن بصددها . وقد استمد موضوعها من كتاب « شياطين لودان » . لاولدس هكسلى الكاتب الانجليزى المعاصر المشهور .

وفى هذه المسرحية نلمس نفس الصفات التى تميزت بها مسرحية « نشيد المشاة » – مهارة فائقة فى جمع المادة ، وذكاء خارق فى تحليلها ، وتجديد فى الاصطلاحات المسرحية ، وتذوق رائع للحوار البليغ لا يخون المؤلف قط (كما خان برناردشو فى موقف مشابه فى « القديسة جون » حينما كان الموقف

يتطلب اعترافاً عاطفياً قوياً حاراً بالايمان بالله يستند إلى الوجدان ولا يستند إلى الدليل العقلى كما فعل شو) .

وموضوع هذه المسرحية — مرة أخرى — هو إفناء الذات ، ومن ثم فقد وجد هوايتنج نفسه مضطراً إلى التحوير فى أهمية شخصيات الكتاب الذى نقل عنه الموضوع ، فأسند البطولة إلى قسيس فى لودان . وهى مسندة إلى رئيسة راهبات الدير فى كتاب هكسلى .

وأعجب الجمهور بمشاهدة المسرحية ، وعدها النقاد تحفة فنية من تحف العصر الذى نعيش فيه واسترد بها الكاتب كرامته الأدبية .

وأخرج بعد ذلك مسرحية أخرى تحت عنوان « بغير سبب » وموضوعها أيضاً إفناء الذات . إذ نشاهد فيها طفلا يقبل على الانتحار .

ومن المؤسف حقاً أن هوايتنج الذى بشر بالمسرح الجديد فى بريطانيا لم يعش طويلا ليعلو موجة انتصار الاتجاه الجديد .

* * *

على هذه الصورة كان المسرح فى بريطانيا فيما بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٥٦ عندما ظهرت مسرحية « انظر إلى الوراء غاضباً » لأوزبورن . وكان التليفزيون منافساً قوياً ، والإذاعة تغنى عن المسرح ، وبخاصة ما يذاع فى البرنامج الثالث الذى برز فيه هنرى ريد وجايلز كوبر .

وكاد هواة المسرح أن يفقدوا الأمل فى إحيائه حتى كان عام ١٩٥٦ ، وكانت الثورة التى لازلنا حتى اليوم فى إثرها والتى انتقل صداها إلى الجمهورية العربية المتحدة .

* * *

وأعود إلى مسرحية « الشياطين » فأقول إنها مسرحية تقوم على أساس تاريخى ، وتعود فى مناظرها إلى القرن السابع عشر ، وما كان يسوده من معتقدات دينية وأنظمةسياسية .

تجرى حوادثها فى فرنسا حينما كان الملك لويس الثالث عشر يريد — بمشورة الكاردينال ريشيليو وبايعاز منه — أن يبسط نفوذه كاملا على فرنسا كلها، فيدك حصون المقاطعات ويقضى على سلطة حكامها المحليين ليخضعوا جميعاً لفرنسا الموحدة . وفى المسرحية مناظر كثيرة مما كان يُثار حول هذه السياسة من جدل .

وهى تروى قصة قسيس عاش فى ذلك القرن لا يطمئن إلى السائد من المعتقدات ، فأخذ يبحث عن الله بكافة الوسائل بغية الاتصال به والاتحاد معه. وظن أول الأمر أن الاتصال بالله لا يكون إلا عن طريق محبة الناس . والمحبة أحر ما تكون بين الجنسين، فعاشر النسوة راهبات وغير راهبات واتصل ببعضهن اتصالا جنسياً مما لا يتفق والوظيفة الدينية التى يشغلها . واسترسل فى الشهوات لا طمعاً فيها ولكن تعبيراً بها عن شدة العطف والمحبة . أو كما يقول فى بداية الفصل الثانى :

« أملا فى أن أصل إلى الله عن طريق مخلوق . الأمل فى أن الطريق — التى يسير المرء فيها وحيداً فتكون طريق اليأس — يمكن أن تضاء بحب امرأة . ولقد آمنت بأنه يمكننى بهذا العمل اليسير الذى ألزمت به نفسى (يقصد اتصاله بفتاة) ، والذى قمت به من كل قلبى ، أن أصل إلى الله عن طريق السعادة » .

الحب عنده لون من ألوان النشاط الإنسانى التى يمارسها لهدف نهائى واحد هو صلته بالله .

« كل أمور الدنيا لها غرض واحد لرجل مثلى . السياسة والسلطة ، والحواس، والثراء، والفخر ، والنفوذ . إننى انتقى منها بنفس العناية التى تنتقى انت بها ياسيدى (مخاطباً حاكم المدينة) سلاحك . ولكن هدفى مختلف . أننى أريد أن أصوبه إلى نفسى » .

الله عنده يشمل كل شيء . استمع إليه يقول .

« صوّرته (أى الله) من النور ومن الهواء . من تراب الطريق . من عرق يدى ومن القذارة . ومن ذكرى وجوه النساء . من الأنهار العظيمة ، من الأطفال ، من عمل الإنسان ، من الماضى ، من الحاضر ، من المستقبل. ومن المجهول . صورته من الخوف ومن اليأس . وجمعت كل شيء من هذا العمل العظيم ، كل ما عرفت ، وما رأيت ، وما رست . ذنوبى ، ومزاعمى ، وغرورى ، ومحبتى ، وكراهيتى وشهوتى . وأخيراً وهبت نفسى . وهكذا صورت الله لنفسى ، وكان عظيما لأنه كل هذه الأشياء » .

والانسان يذنب والله يعفو . وهذه هى الحكمة فى وجود خالق ومخلوق .

« أنا ابنه . هذا حق . وليقبلنى كما أنا . وإذن فهناك مغزى . هناك مغزى على أية حال . أنا رجل مذنب ومن الممكن قبولى . لست لا شيء متجها نحو لا شيء . إنما هو ذنب يتجه نحو العفو . إنه مخلوق بشرى يتجه نحو المحبة » .

وليذكر القارىء أن الإنسان الساذج الذى يحيا حياة طبيعية لا يرى فى الاتصال بالجنس الآخر اثماً . تقول فيليب الفتاه التى غرر بها وقادها إلى الفسق معه :

« إننى فتاة ساذجة ، أرى العالم وأرى نفسى كما تعلمت . أنا ممعنة فى الاثم ولكن حب الله لم يتخل عنى . يقول الناس إن من يكون فى مثل

موقفنا عليه أن يقابل ربه . واعتقد فى صدق ذلك . ولن أخشى أن أبوح بما فى نفسى لله وأنت بجانبى (تخاطب جرانديير القسيس) ، حتى فى حالة ارتكابنا الخطيئة . لأنى أعتقد أن الله طيب ، حكيم ، رءوف دائماً ».

غير أن السلطات الحاكمة فى فرنسا فى ذلك الحين ورجال الدين المعتقدين فى الله اعتقاداً سطحياً اساءوا فهم الرجل ، فقدموه إلى المحاكمة ، وطلبوا إليه أن يعترف بما اقترف من آثام ، فأصر على الانكار وصدر فيه الحكم بالموت حرقاً . وفى أثناء المحاكمة تتمثل لنا فى صورة قوية شخصية الرجل المؤمن فى عناد ، المدرب على التفكير المستقيم .

ونشهد فى المسرحية منظراً مؤثراً جداً من صلابة الرجل وإصراره على عدم الاعتراف بالذنب ورفضه التوقيع على وثيقة الاتهام .

وأخيراً ينفذ فيه حكم الاحراق ويتبدد جسمه وتتناثر اشلاؤه فى الهواء شذر مذر ، ويتهافت الناس على بقايا من الجسم المحترق يحتفظون بها للتبرك ، وهكذا يموت الرجل شهيداً فى سبيل الله .

ويسأل عامل من عمال المجارى رئيسة الراهبات التى كانت تهذى بجرانديير فى حياته وتكبت فى نفسها رغبة عارمة فى الاتصال به . يسألها متهكماً وقد أمسك فى يده بعظمة محترقة . —

« هل تريدينها لأمر ما ؟

فتهز رأسها ، وتصيح : جر انديير .. جرانديير .. (وهو اسم القسيس) فى نهاية المسرحية . .

ويصور الكاتب العقيدة فى الخرافة التى كانت شائعة فى القرن السابع عشر حتى بين الكهان ورجال الدين ، لكى يرسم لنا للقداسة صورة ليست مطهرة كل التطهير . وفى يأس من صلاح الدنيا حتى بعد ما يُبذل فى سبيل ذلك من

تضحيات وأرواح ، يقول الكاتب على لسان أحد الأساقفة بعد احراق جراندير .

« نعم لقد قهرنا الشيطان ، وبسطنا السلام فى هذا المكان . ولكن تق أنه حتى فى هذه اللحظة يعود متسللا . آه ، يا أصدقائى الأعزاء إن أمثالنا من الرجال لن يتبطل عن العمل قط (وقصد بالعمل إخراج الشياطين من المتلبسين بها) » .

ذلك لأن الاتصال بين الرجل والمرأة أمر طبيعى ، ولا يمكن ان يزول من الأذهان مهما تصوف الرجل أو ترهبت المرأة .

يجب أن نفهم مسرحية « الشياطين » إذن على أنها قصة رجل من رجال الدين ، اسمه جراندير يبحث عن الله . بالمحبة ، وبالفكر ، وبالاستشهاد .

ومن سخرية الدنيا أن نرى فى هذه المسرحية هذا الرجل — بعد ما أدرك أن الله موجود فى كل الوجود ، وبعد ما زالت من نفسه الشكوك وتبددت الأوهام — مقبلا على الكنيسة يصلى فيها ويتعبد ، وإذا برجال الحكم ورجال الدين الذين لا يعرفون الدين على حقيقته يمنعونه من دخولها ويحرمون عليه ارتياد بيوت الله .

و « الشياطين » عنوان صادق للمسرحية ، لأن المسيحيين فى القرن السابع عشر فى أوربا لم يكونوا يعتقدون أنها مبعث الشر فحسب ، بل يؤمنون بأنها تدخل فعلا فى النفوس ، وتستقر فى البواطن ، ويمكن بطقوس دينية معينة وبشيء من التعذيب إخراج هذه الشياطين من نفوس المتلبسين بها . .

والشيطان يخرج من أى عضو من أعضاء جسم المتلبس به ، فيتطهر . يخرج من عينه ، أو من كتفه ، أو من ضلعه . ويتكلم عن لسانه . وأكثر ما تتم طقوس الاخراج باللاتينية . وذلك من واجبات رجال الدين .

وفى المسرحية شخصيتان بارزتان . أما الأولى فهى شخصية القسيس

جراندير . وهو فى هذه المسرحية بطل القصة . وأما الثانية فهى شخصية الأم جان ديزانج رئيسة الدير ، التى كانت تكن فى صدرها حباً مكبوتاً للرجل ، وإعجاباً به . ولكم قاست من آلام نفسية مبرحه بسبب الشهوة المكبوته . وقد أرادت أن تنفس عما يضطرم فى نفسها فعرضت على الرجل أن يكون مديراً لديرها ، ولكنه تأبى نظراً لكثرة مالديه من أعمال أخرى . وهى لاتكاد تتحدث فى موضوع إلا ورد ذكر اسمه على لسانها ، تهذى به فى صحوتها وفى غفلتها ، إذا تحدثت بصوتها ، أو تحدث الشيطان على لسانها .. جراندير .. جراندير .. جراندير ..

ويرى أحد النقاد أن هوايتنج أخطأ فى اختيار جراندير بطلا للمسرحية إذ أن هذه الراهبة كانت أشد منه معاناة وأكثر مكابدة . كما يرى أن تصوير الكاتب لنزعات الراهبات فيه مبالغة فى التبسيط ، فهو يعرضهن نساء مخادعات ، متلبسات بنزعات الشيطان ، ميالات إلى الفسق والفجور عن وعى وإدراك . فى حين أنهن فى الأصل مصابات بالنورستانيا وخداع النفس . وإذن فالصورة التى يرسمها الكاتب لهن لا تتفق والواقع التاريخى . ولعل هذا التحوير فى رسم الشخصيات يجعل الموضوع أقل تشويقاً منه فى حقيقة الأمر .

ولما كشف أمر جان ديزانج اتخذ معها الاساقفة مختلف الوسائل لإخراج الشياطين الكامنة فى نفسها ، والتى تستأثر بتفكيرها حتى أثناء أدائها للصلاة . وكثيراً ما صور لها الوهم أنها فى أحضان جراندير ترتكب معه الفاحشه . فافقدتها هذه الأوهام طهارتها .

« إنه فى باطنى هنا . كالطفل . أنه لم يكشف لى قط أى نوع من أنواع الرجال هو . عرفته جميلا . وقال الكثيرون عنه إنه بارع ، وقال

كثيرون آخرون إنه شرير . ولكن برغم كل قسوته على روحى وبدنى لم يأت إلى قط بغير المحبة . كلا . دعنى أعبر عما فى نفسى . أقول إنه فى باطنى . أنا فى قبضة الشيطان . ولكنه ساكن ، يرقد تحت قلبى ، ويعيش فى أنفاسى وفى دمى . وهو يخيفنى . أخاف أن أكون قد ارتكبت أجسم الأخطاء فى هذا الأمر » .

وفى براعة فائقة يصور الكاتب هذه الأوهام ، حتى إنها لتختلط بالحقيقة. ويكاد القارىء ألا يلمس فارقاً بين الواقع والخيال أو بين الوهم والحقيقة . وبالفعل كانت الكنيسة فى تلك الأيام تحاسب الناس — والرهبان والراهبات منهم خاصة — لا على أفعالهم فحسب ، ولكن على ما يدور بخلدهم كذلك . على نواياهم ، وما تعتلج به نفوسهم . حتى إذا لم يخرج عملا ملموساً .

وتصور الام جان اغراء الشيطان لها وامتزاج الخيال بالواقع حينما تقول : —

« تصور معبدنا الصغير ، على بساطته وخلوه من الزينة . لقد كان فى تلك الايلة مكانا للترف والحرارة المعطرة . دعنى اخبركم . لقد امتلأ بالضحك والموسيقى . وكان فيه المخمل ، والحرير ، والمعادن . وخشب ارضه لم يكن ممسوحا . لم يكن البته نظيفا . نعم . وكان هناك طعام لحم حيوان عظيم ، ونبيذ ثقيل ، كفاكهة الشرق . وكنت قرأت عن كل ذلك وقد اتخمنا انفسنا الى درجة قصوى »

. . . .

« لقد نسيت . كنا فى ازياء جميلة . وكان ردائى على كأنه جزء من جسدى . واخيرا لما تعريت وقعت بين الاشواك . نعم ، كانت الاشواك منتشرة فوق الارض . ووقعت بينها .... »

. . . .

« وهكذا قهرنا الله من عقر داره . وفر مفزوعا من الاحساسات التى اودعتها فى الرجال يد اخرى . ولما تحررنا منه احتفلنا برحيله مرة بعد اخرى ... ان الله – بالنسبة الى شخص – عرفت ماعرفت – قد انتهى . وقد وجدت راحة النفس » .

ومن عجب ان كبار الاساقفة كانوا يحبون ان تبقى العقيدة فى التلبس بالشياطين ثابتة قوية لاتتزعزع . لان ذلك يجعل لهم بين الناس ضرورة وأهمية . فهم الذين يستطيعون بطقوسهم وصلواتهم ودعواتهم ان يطردوها .

اما اذا كان الفسق حقيقة واقعة ، وليس وهما من اوهام الشيطان ، فإنه يعد جريمة يعاقب عليها القانون . فيكون النفوذ لرجال الشرطة ورجال القضاء ، ويضعف سلطان رجال الدين ، ومن ثم كان ذلك التنافر بين رجال الدين ورجال الحكم ، بين الكنيسة والدولة .

وكما تصور المسرحية شكوك الناس فى حكم القانون المدنى ، تصور كذلك ارتيابهم فى العلم والطب . اذ ان حياة الانسان لا تحكم بقوانين الطبيعة ، بالعقل المنظم ، انما تحكمها الشياطين والارواح واللاعقل . والشيطان سلطان الشر فى هذه الدنيا .

وفى سخرية بالغة يرسم الكاتب صورة لتأثير الوهم فى عقائد الناس . فبينما كان أحد الاساقفة يقوم باخراج الشيطان من جسد الام جان ، اراد مندوب الملك الذى كان يشهد المنظر ان يهزأ من الاسقف ، فقدم اليه قارورة زعم ان بها دم المسيح ، وإذا مس بها جبين الراهبة رحلت عنها الشياطين . ولما نفذ الاسقف ما اشار به مندوب الملك ، صاحت الراهبة معلنة الخلاص من لبس الشيطان . فلم يعجب لذلك الاسقف ، لان دم المسيح لا بد ان يأتى بالمعجزات . واذا بمندوب الملك يفتح القارورة ويظهر

للاسقف انها فارغة ، وليس الامر الا وهما من الاوهام .

والمسرحية فى جملتها مصاغة فى لغة شعرية ، تعج بالكناية ، وبالرمز ، وبالخيال الرائع ، وبالتصوير القوى لحقائق الامور وخفاياها .

ومن امثلة ذلك مانراه عندما جاء مندوب الملك الى حاكم المدينة يطلب اليه ان يدك حصونها اعلانا لخضوعه لملك البلاد ، فلما انصرف المندوب قال الحاكم :

الحاكم : انظر اليه يا جرانديير

جرانديير : رجل صغير الحجم يثير مرآه الضحك

الحاكم : اننا جميعا ياصديقى العزيز خياليون . اننا نتصور ان الذى يغير حياتنا رسول مجنح يمتطى جوادا اسود . ولكنه فى أكثر الأحيان رجل رث ، صغير الحجم ، يتعثر فى الطريق ......

* * *

ونستطيع من زاوية اخرى ان نقول ان هذه المسرحية تعالج مشكلة الحياة الخاصة للانسان . هل يستطيع المرء ان يحيا حياته الخاصة ، غير متأثر بالبيئة الاجتماعية التى يضطرب فيها ؟

لكم يتمنى الانسان ذلك . لكن هيهات . فالانسان حيوان سياسى كما قال ارسطو . بمعنى انه انسان اجتماعى ، لا يمكنه ان ينعزل وينفرد فى حياته .

ولقد زادت هذه الظاهرة فى العصر الحاضر ، بزيادة الاتصال بين أطراف العالم . فان مايجرى فى كوبا او فى برلين او فيتنام يؤثر فى حياة كل فرد فى أى صقع من اصقاع العالم .

كانت الأديبة الانجليزية جين أوستن تكتب قصصا تصور فيها حياة الناس الخاصة أيام حروب نابليون دون ذكر لهذه الحروب وكانها عديمة

الاثر فى حياة الأفراد بالرغم من اشتراك الانجليز فىمعركة واترلو . وفى وقت كان الغزو يهدد انجلترا فى عام ١٧٤٥ نجد روائيا مثل فيلدنج يكتب قصة وكأن البلاد فى أمن وسلام .

هل نستطيع ذلك اليوم ؟ هل يستطيع الكاتب فى الحاضر ان يتجاهل مايجرى فى كل ركن من اركان الدنيا ؟

هذه هى مشكلة جرانديير بطل مسرحية «الشياطين» . فهو فى قبضة قوة أعظم منه وأقدر . الحياة الخاصة إذا مستحيلة برغم شغف كل منا بها .

ان جرانديير راعى كنيسة القديس بطرس فى لودان فى صراع لا مع الدولة ولكن مع الكنيسة ذاتها . كيف يفر من احكامها وعقائدها ؟ فى شخص هذا الرجل شهوة وهستريا ورغبة فى الخلاص ، فهل تمكن من التعبير عن نفسه ؟ كلا . فقد طاردته الكنيسة حتى حكم عليه بالموت حرقا .

وبرغم التنقل السريع فى المسرحية من مشهد الى مشهد ، وسرعة تغيير الاشخاص على خشبة المسرح ، فان المشاهد لا يسعه الا أن يلحظ تقدما فى الموضوع ، واتصالا بين الاجزاء يكون فى النهاية صورة قوية ينطبع بها الذهن ولا يمكن ان تزول .

وتكاد المسرحية ان تكون اعجوبة فى تسلسل حوادثها ومشاهدها . وكأنها قطعة فنية من الموزايكو ، مهندسة فى تركيبها . او كأنها صورة حية تعرض على خشبة المسرح . وتتخللها نظرات عميقة فى نوازع الانسان الخفية ونواياه .

لقد ادى ضغط المجتمع بجرانديير الى الموت . ولعل كاتب المسرحية يريد ان ينبهنا الى شدة هذا الضغط لعلنا ان نخفف منه بعض الشىء فنحقق لانفسنا جانبا من السعادة .

* * *

وظاهر من مجرى حوادث المسرحية ان الكاتب يائس من خلاص الانسان من ورطته . وليس له من سبيل إلا أن يقضى على نفسه بنفسه ، ليس من سبيل إلى الخلاص غير الموت والفناء .

جراندير : .... السياسة ، والسلطة ، والحواس ، والثراء ، والفخر والنفوذ ... اسلحة .... اريد ان اصوبها الى نفسى .

الحاكم : لكى تجهز على نفسك ؟

جراندير : فانى فى حاجة شديدة الى الاتحاد بالله . إن العيش قد اعتصر منى الحاجة الى الحياة . وقد آلت قدرة الحواس عندى الى الانهاك المطلق . انما انا رجل ميت مرغم على العيش ....

الحاكم : لست ممن يجادلون بسفسطة ولكن قل لى . إننى أرى أن القضاء على النفس بشكل قاطع ظاهر ليس من الامور المحللة . ولكن أليس خلق ظروف موتك — وهو ماتفعل انت فيما يبدو — كذلك من الاثم ؟

جراندير : اترك لى شيئا من الأمل .

وفى موضع آخر تقول جان

« .... الانسان مخلوق عجيب ، يدعو إلى السخرية . وربما لم يخلق إلا من أجل ذلك . شامخ برأسه ، منتش بعمله ، مما يدعو الى الاستخفاف به . مستغرق فى اختراع معبودات زائفة يبرر بها وجوده ، فيصم اذنيه عن الضحك . لايرى بعينيه إلا نفسه ، فهو أعمى عن شارات السخرية التى يلوّح بها فى وجهه . وهكذا يسير مخمورا ، أعمى وأصم . خير موضوع للتفكه العملى .

وهنا يا اخواتى نجد الأبناء التعسين من أمثالى مجالا لأداء أدوارهم؛

إننا لانسخر من أبينا المحبوب فى السماء . إننا نحتفظ بضحكاتنا نوجهها إلى أبنائه التعسين المذنبين الذين يرتفعون عن مستواهم ، ويعتقدون ان لهم هدفا آخر فى هذه الدنيا غير الموت .

بعد أوهام السلطة تأتى أوهام الحب . عندما يعجز الانسان عن التحطيم يبدأ فى العقيدة بأنه يستطيع الخلاص بالتسلل إلى زميل له فى الإنسانية . وهكذا يخلد نفسه . انه لايفتأ يكرر قوله . احبنى . احبنى : أعزنى . أحمنى . انقذنى . انه يقول ذلك لزوجته ، وعاهراته وأطفاله ، وبعضهم يقول ذلك للجنس البشرى كله . ولا يقولون ذلك لله قط . وربما كان هؤلاء أشد من يدعو إلى السخرية ، وأكثر من يستحق الازدراء . لانهم لا يدركون مجد الفناء ، هدف الانسان :

العزلة والموت ... »

اذن فالفناء عند الكاتب هو طريق الخلاص . ومن ثم فقد لقى القسيس جراندير حتفه شهيدا فى سبيل الله لكى يتحرر من مأساة الحياة !

* * *

ولا يفوتنى فى ختام هذه المقدمة أن أقدم جزيل الشكر للسيد الدكتور محمد محمود السلامونى رئيس قسم الدراسات الأوربية القديمة وآدابها بكلية الآداب بجامعة القاهرة على معاونته لى فى نقل ماورد فى المسرحية من نصوص لاتينية اثبتها فى الهوامش لكى يدرك القارىء فحواها وإن كنت أنصح عند التمثيل أن يلقى الممثلون العبارات اللاتينية بنصها الأصلى لأنها فى الأغلب تعاويذ درج الرهبان على تلاوتها باللاتينية ليكون سحرها أفعل وأثرها أوقع .

والله ولى التوفيق ،،،

محمود محمود

أشخاص المسرحية

مانورى	— جراح	Mannoury
آدم	— صيدلى	Adam
لويس ترنسانت	— النائب العام	Louis Trincant
فيليب ترنسانت		Phillipe Trincant
جان دارمنياك	— حاكم لودان	Jean D'Armagnac
دى سيريزاى	— كبير القضاه	De Cerisay
عامل المجارى		A Sewerman
اربان جراندير	—راعى كنيسةالقديس بطرس	Urban Grandier
نينون	— أرملة	Ninon
دى لا روشبوزاى	— اسقف بواتييه	De La Rochepozay
الأب رانجير		Farther Rangler
الأب بارى		Father Barré
الاخت جان ديزانج	— رئيسة دير القديسة أرسولا	Sister Jeanne of the Angels

الأخت كلير — Sister Claire

الأخت لويز — Sister Louise

دى لوبارد منت — مندوب الملك الخاص فى لودان — De Laubardmont

الأب منيون — Father Mignon

الأخت جبرائيل — Sister Gabrielle

الأمير هنرى دى كندى — Prince Henry De Cond

ريشيليو — Richelieu

لويس الثالث عشر : ملك فرنسا — Louis XIII

بنتـــان : السجان — Bontemps

الأب امبروز — Father Ambrose

كاتب — A Clerk

أهل المدينة ، وقوم من الريف ، ورهبان الفرنسيسكان ، ورهبان الكرمل ، والجزويت ، والجند .

* * *

تقع حوادث المسرحية فى مدينة لودان وقريبا منها ، وقليل منها فى باريس ، فيما بين عامى ١٦٢٣ و ١٦٣٤ .

الفصــل الأول

المنظــر : طرقات لودان
والوقت : بالنهــار
وترى جثة مدلاه من مقصلة البلديه .
وعن كثب عامل من عمال المجارى يعمل فى مجرى ضحل .
(والناس يقبلون من كنيسة القديس بطرس . ومن بينهم آدم الصيدلى ومانورى الجراح)

مانورى : هلا رافقتنى
آدم : بكل ترحيب
مانورى : لاتغمزنى فى ذراعى . انما كان يتكلم كأنه آله
آدم : هل تعنى جرانديير
مانورى : نعم هو جرانديير
آدم : انه ينهض بالارواح
مانورى : هل تظن ذلك ؟ ثم ماذا ؟
آدم : ان بلدا صغيرا كهذا من حسن حظه ان يكون به

مثل هذا الرجل الذى يتعهد الأرواح . ويحى
إنى أقول ذلك وكأنى أعنى ما أقول !

مانورى : كلا — هناك أشياء وأشياء يا عزيزى آدم

آدم : ماذا تعنى بالأشياء يا مانورى

مانورى : لاتفتح فاك . هناك أشياء تقال ، وأشياء تعمل .

آدم : من القسيس ؟ أجل ، لقد سمعت ذلك

مانورى : عليك أن تشهد بعينيك

(تقبل نينون من الكنيسة . وهى ارملة شابة
وتسير فى الطريق)

آدم : اقد شهدت بعينى رأسى

مانورى : وكشفت عليها طبيا

آدم : هل فعلت ذلك ؟

مانورى : إن الترمل لا يكسب صاحبته هذا الرضى
ولا يجعلها تمشى هذه المشية

آدم : انما تكسبها ذلك الزيارة

مانوري : صدقت

(وهنا يسيران قرب المقصلة)

آدم : عجبا إنه يتدلى

مانورى : ترى من كان هذا الأحمق ؟

آدم : لقد علقوه ليلة الأمس

مانورى : ياله من منظر يخطف اللب . ماذا بقى يا آدم ؟

آدم : لست أفهمك

مانورى : ماذا بقى بعد هذا أيها الرجل ؟

آدم : آه .. إن فى رأسك فكرة

مانورى : بل هل لديه (١) فكرة ؟ هذا هو المهم
هيا بنا نتناول طعام الغذاء
(آدم ومانورى ينصرفان ويقبل من الكنيسة لويس ترنسانت النائب العام وابنته فيليب)

ترنسانت : ضمى ذراعيك يابنيتى . انك تشبهين الفلاحة فى مشيتك

فيليب : ومن يرانى ؟

ترنسانت : العالم يراك . وانى أحب أن يرى فيك سيده محترمة.
(يقتربان من المقصلة)

فيليب : هل كان شابا أو شيخا ؟

ترنسانت : لا تنظرى

فيليب : انك تريد أن تملأ رأسى بالتجارب الطيبة النافعة ،

---

(١) يشير الى القسيس جرانديو بطل المسرحية

يا أبت . ولذا فانى أرجوك أن تخبرنى . هل يكشف الموت عن الوجه القناع فى السماء ؟

ترنسانت : هذا سؤال توجهينه الى قسيس

فيليب : إنى آسفة . وإذن فانتحدث فى حركة ساقىّ أثناء الرقص ، وفى الزواج ، وفى الحب ولا نتحدث فى الموت . فهو كريه الرائحة . آما الوسادة فيفوح منها العطر .

ترنسانت : دعك من هذا الهراء ، وامض فى المسير ، وتنبهى فى خطاك .

(ترنسانت وفيليب ينصرفان . ويخرج جان دار منياك حاكم المدينة

وجيوم دى سيريزاي كبير القضاه من الكنيسة إلى الطريق العام)

دار منياك : يبدو أن جرانديير يؤمن أشد الايمان أن قوى الخير — كالحزب السياسى — بحاجة إلى زعيم :

دى سيريزاى : كانت تدور فى رأسه أمثال هذه الأمور .

دار منياك : تعنى السياسة ؟

مهما يكن من شيء فانه من العجيب أن يصدر هذا الاصطلاح عن منبر الكنيسة

دی سیر یزای : وعجيب كذلك أن تصدر عنه النكتة

دار منياك : أجل . لقد لحقنى العار هذا الصباح عندما ضحكت ضحكة عالية . وهل هذا اليق بحاكم المدينة من التثاؤب اثناء الخطبة ، كما كنت أفعل قبل قدوم جراندير إلى هنا ؟

دی سیر یزای : هل صرفت العربة ؟

دار منياك : أجل ، فقد آثرت أن نمشي . خبرنى

دی سیر یزای : ماذا تريد ؟

دار منياك : هذه بلدة صغيرة . هل تحتمل قسيسا مثل جراندير ؟ هذا الرجل المتكبر —

هل تسلك هذا الطريق ؟

(دار منياك ودی سیر یزای ينصرفان. والجمهور يختفى. ولم يعد يخرج أحد من باب الكنيسة . ويظهر الأب اربان جراندير راعى كنيسة القديس بطرس ، ويخرج إلى الطريق .

ويفرغ عامل المجارى جردلا مليئا بالقاذورات فيلوث عباءة القسيس) .

عامل المجارى : آسف

جراندير : لا عليك

العامل : ولكنى اخطأت . كيف يكون على الزى المقدس الارجوانى براز ؟

جراندير : بنىّ

العامل : إبى ؟

جراندير : إن ألفاظك تناسب مقامك

العامل : وماذا كنت تقول ؟

جراندير : غير ذلك

العامل : ولكنى ياسيدى رجل . رجل قذر آثم ، وعملى فى مجارى المدينة . فلماذا تنتظر منى ألفاظا نقية ؟ غير أنى أريد أن أرضيك مع هذا . انى ياسيدى آسف لانى لطخت رداءك بافراز الفقراء .
هل هذا تعبير أفضل ؟

جراندير : (ضاحكا) هذا يكفى

العامل : ما أجمل هذا اليوم . الطقس حار

جراندير : أجل وكيف تحتمل العمل هناك ؟

العامل : كنت أشغل فكرى بأمور أرقى

جراندير : يسرنى أن أسمع ذلك . وماذا كانت تلك الأمور ؟

العامل : زوجتى وغذائى

جراندير : لقد فهمت . أما الآن ـ

العامل : لم تعد بى حاجة . وألفت الرائحة الكريهة . ولا يمكن لأحد أن يبلغ الثالثة والأربعين من عمره دون أن يحدث له ذلك . ولو كنت رجلا من عامة الناس ياسيدى فربما أمكننى أن أفهمك .

جراندير : ولماذا لا تحاول .

العامل : كل امرىء مجرى نفسه . انه يحمل فى جوفه مجاريه . والمراريب تجرى خلاله لتلفظ الاقذار .

جراندير : والكنها تحمل كذلك دم الحياه

العامل : إنها مجرد سباكة . وهى المبادىء الصحية الأولى . لا تقاطعنى . ما الذى يسعد الانسان ؟ ان يأكل ، ويجعل المجارى تموج . ان يجلس فى الشمس ويجعل القمامة تتخمر . ان يعود إلى بيته ويلتمس الراحة مع زوجته فى مجاريها . لماذا اذن أشعر بالخجل أو بالشذوذ هنا ؟

جراندير : بهذه الصورة ليس ثمة ما يدعو إلى ذلك . بل ربما كانت لك فى هذا العمل متعة

العامل : من الواضح ياسيدى أن إفرازاتك الغالية لن تتدفق هنا كما تتساقط من بين أصابع قدمى هذا

المخلوق الضال طوال الليل (١).

جراندير : لا تسخر من هذا الشيء

العامل : آسف

جراندير : لقد كان رجلا . شابا . فى الثامنة عشرة من عمره . وقد أتوا به ليركع على باب الكنيسة فى طريقه إلى هذا المكان ، واعترف لى بخطاياه .

العامل : وما هى ؟

جراندير : كونه حى

العامل : مدرك

جراندير : وكان ذلك شيئا إدًّا . ساقته رجولته إلى قوة الحواس . وبهذه الحواس كان يعبد فتاة شابة ويقدسها كل التقديس . ولكنه أسرع فى التعلم . تعلم ان الذهب وحده هو الذى يحلى الجسم العارى . فسرق .

العامل : ومن أجل ذلك شنق

جراندير : لقد اعترف لى وحدى بشيء ما . ولم يرد أن يبلغ صوته الآله . إنما كان رجلا يتحدث إلى رجل . قال لى انه عندما حلى الفتاة بدا له

---

(١) يشير الى الجثة المدلاة من المقصلة

الذهب بغير لون ، عديم القيمة فوق جسمها الذهبي . وكانت تلك توبته . متى ينزلونه من فوق المقصلة ؟

العامل : غدا ، فى جنح الظلام

جراندير : أرجو أن تراقب إتمام هذا العمل فى شيء من الحشمة

(جراندير ينصرف)

(دى سيريزاى — دار منياك — ترنسانت)

دار منياك : الحياة الريفية ياعزيزى ترنسانت

ترنسانت : هل تشعران لها اثرا سيئا على فن الشعر ؟

دار منياك : اسأل دى سيريزاى

دى سيريزاى : انت باعتبارك النائب العمومى ياترنسانت ، وأنا باعتبارى قاضيا ، نشأنا ملتصقين بالارض بحكم عملنا . ولقد كنت دائما أعد الشعر فنا رفيعا .

ترنسانت : أؤكد لك أن الأفكار الصحيحة ترد على خاطرى أثناء النظم . ان عقلى — ان جاز لى أن أقول ذلك — محشو كله بالنبل

دى سيريزاى : لماذا لم تطلع جرانديير على المجموعة الأخيرة من مقطوعاتك الشعرية ؟

ترنسانت : القسيس ؟

دى سيريزاى : إن حواسه الدنيوية غاية فى النضج باعتباره قسيساً. إجمع بعض المختارات وقدمها إليه ، فالرجل من العلماء الباحثين .

ترنسانت : حسناً . أنني لا إبغى الثناء ولكني سوف أفعل ما تقول . أجل (ترنسانت ينصرف)

دارميناك : مسكين ترنسانت . إنه يحب آلهة الشعر ، ولكنها للأسف لا تحبه فيما يبدو . أرجو ان يكون اقتراحك بشأن جرانديير خالياً من نية السوء .

دى‌سيريزاى : خلواً تاماً يا سيدى . إن ترنسانت شأنه شأن أى مؤلف . كلما ارتفع مستوى قرائه خف عبء الشك على كواهل أصدقائه المقربين .

دارمنياك : لقد أتى جرانديير لمقابلتى هذا الصباح . وكنت أتناول طعام الافطار فى الحديقة ، ولم يكن يعلم أن بوسعى مشاهدته وهو يتقدم نحوى . كان مكشوف السريرة باسماً . يتنفس الهواء بصورة ظاهرة . وقد توقف ليشاهد الطواويس .

ويداعب زهرة وكأنها بين يديه سر المرأة الخفى . وأخذ يضاحك ابن البستانى . ثم اعتدل وأصبح رجلا آخر ، جلس إلى جوارى ، وتحدث ساعة من الزمان . إلى أين يتسلق هذا الرجل الآخر على سلم شكوكه وضحكاته ؟

دى سيريزاى : ربما تسنم ذروة مناصب الكنيسة .

دارمنياك : وما مصير الرجل الذى رأيت فى الحديقة ؟

(صمت)

(جرانديير مع نينون . والسرير غير مرتب : وفوق إحدى قوائمه قلنسوه)

نينون : خبرنى

جرانديير : ماذا تريدينني أن أخبرك به ؟ ان الألفاظ ليست إلا الأعيب فى موقفنا هذا . لها رنين الموسيقى ، وليس لها معنى .

نينـــون : لا تسخر منى . اننى لا أفهم قط . فاست امرأة ذكيـــة .

جرانديير : ما أشد تواضعك يا نينون . وذلك من رذائل النساء . وهو لا يؤدى إلى نتيجة . عم تسألين ؟

نينـــون : لماذا تأتى إلىّ ؟

جراندير : لو كنا فى صالونك لكان هذا منك سؤالا حكيما . أما ونحن ...

نينـــون : ان بالمدينة فتيات رائعات الجمال .

جراندير : إنهن لم يطلبن العزاء فى موت باكر لزوج غنى يبيع الخمور . ذلك كان الداعى إلى زيارتى الأولى لو تذكرين فى يوم من أيام الثلاثاء منذ بضعة أسابيع . وقد طلبت إليك أن تعتقدى بأن الله يحبك ، وأنه يرعاك رعاية أبدية . وأن تعتقدى أن السكتة القلبية التى أصابت زوجك وهو يتناول العشاء عندما كانت دماؤه تتدفق مع خموره الغزيرة ، كانت عملا من أعمال المحبة . وقلت لك إن كل شىء مهما تعذر ادراكه هو عمل من أعمال المحبة . غير أنك لم تستطيعى الإيمان بشىء من هذا . إن روحك ضيقة كعقلك يانينون . فلجأت إلى تصرف إنسانى بحت . فبكيت . ولابد من مسح الدموع وكيف يمكن ذلك بغير تدليل ؟

نينـــون : فى ذلك اليوم لم أر فيك إلا رجلا . ما هى حقيقة الأمر ؟

جراندير : وددت لو أن مثل هذه الكلمات لا تزال قوية الأثر فى نفسى (يعطر منديله)

نينـــون : إنى لم أر فيك قط إلا رجلا . فهل تريد أن تكون أكثر من ذلك ؟

جراندير : أكثر من ذلك بالتأكيد ــ أو أقل .

نينـــون : ولكن كيف تستطيع أن تكون رجلا من رجال الدين دون أن تكون رجلا ؟

جراندير : انك يا عزيزتى تسألين أسئلة فوق سنك ، وأبعد من تجربتك . ان فمك ....

(ناقوس يدق)

نينـــون : لقد ملكتَ علىَّ نفسى .

جراندير : اذهبى الآن لتنامى . وقد كنتِ اليوم حيواناً صغيراً طيباً .

فليكن لك فى استرجاع الذكرى راحة وسلوى . واسعدى .

(جراندير ينصرف)

(آدم ومانورى وبينهما مائدة)

مانورى : هذا الرأس البشرى يبعث فى نفسى كثيراً من التأمل يا عزيزى آدم .

آدم : هذا موضوع مألوف .

مانورى : إن كل امرىء يحمل فوق كتفيه رأساً — ليس فى ذلك شك — ولكن عندما يقع بين يدىّ رأس مفصولا عن جذعه الغليظ أحس دائماً بسمو فى الروح . تصور أن الرأس مقر التفكير .

آدم : فعلا ، وهذا حق

مانورى : أليس من الجائزأن أجد فى أثناء تشريح رأس عادى ذات يوم —

آدم : ماذا تجد يا مانورى ؟ لا تتردد فى إخبارى .

مانورى : قد أقع على المعنى الدقيق للتفكير . أليس من الممكن أن يصل سن مبضعى إلى الجانب المقدس فى الإنسان ، فيلقاه محفوظاً فى كيس بالغ فى الصغر ؟ لقد حلمت بهذه اللحظة ورأيت بنفسى . أرفعُ هذا الجزْء الذى التقطه من المخيخ ، ثُم أكون على علم يا آدم .

آدم : ماذا تعلم يا مانورى ؟

مانورى : تعال يا صديقى العزيز . إنما أنا أتكلم بمعنى غاية فى الشمول . أعلم — كل شىء . ويتكشف لى — كل شىء .

آدم : رحماك اللهم .

مانورى : دعنا نحمل هذا الشيء إلى بيتك . ونقضى المساء في دراسته .

(يتجهان نحو الطريق العام)

مانورى : إن كل الناس يتحدثون عن علاجك لمرض الحب الذى أصيب به الدوق .

آدم : نعم ، وأحسب أننا تغلبنا عليه . ولكن لم يمض في الوقت ما يكفى للتأكد .

مانورى : مركبك المعدنى . هل يؤثر فى قدرة الرجل ؟

آدم : تأثيراً بالغاً ولا مناص « للعلم » — كما كنت أقول للدوق متفكهاً — من الاهتمام بالأسباب الأولية . وليس بوسعه أن يلتفت إلى مشاهدة النتائج الهدامة العارضة .

مانورى : وان يلتفت ، كما نأمل .

آدم : هل وضعت « السيدة التى لن نسميها » ؟

مانورى : قبل الأوان . وكان جنينها يدعو إلى العجيب . ولد وعلى رأسه قلنسوه صغيرة .

آدم : إن ذلك لا يدعو إلى العجب مع هذا اللغط الشديد حول السائق .

(يبلغان الشارع ويقترب منهما جراندير)

مانورى : أنظر . من القادم ؟

آدم : قل ان شئت أنه رجل يمثل العالم الذى لا يعبأ بشىء

جراندير : عمتم مساء ، سيدى الجراح ، وسيدى الصيدلى .

مانورى : عمت مساء .

آدم : نعم يا سيدى .

جراندير : كان يوماً جميلا .

مانورى : نعم

آدم : أجل

جراندير : أما الآن ، فإنها سوف تمطر ، أليس كذلك ؟

آدم : إن السماء صحو .

مانوري : حقاً

جراندير : ولكن السحب قد تتجمع قبل حلول الليل .

آدم : فعـــلا

مانورى : فعلا ، ربما حدث ذلك

جراندير : وتُظلم كما تعلمان . ما عندك فى هذا الجردل ؟

مانورى : رأس إنسان .

جراندير : هل كان صديقاً ؟

مانورى : كان مجرماً

آدم : لقد أنزل الجسم من المقصلة فى الليلة الماضية .

جراندير : (بعد صمت) لعلهم لم يتقاضوا منك ثمناً غالياً لمصلحة « العلم »

مانورى : دفعت تسعة بنسات .

جراندير : معقول . وإنها لصفقة . ارنى . ليس هذا الحل من نوع جيد .

آدم : صحيح . كنت ومانورى نتحدث عن المأزق الذى وقع فيه الإنسان بسبب يتركز فى هذا الجزء من جسمه .

جراندير : إنى على يقين أنكما ذكرتما أشياء شائقة .

آدم : ذكر مانورى أن مقر التفكير ينحصر هنا .

جراندير : ما أصدق ذلك . وكنتَ تستطيع أن تقول ذلك يا آدم .

آدم : لقد قلت .

جراندير : ولا ينبغى أن نغفل النظر إلى هذا المزيج من الحماقة والقداسة عند الإنسان مما لا نذكره إلا لغرض اسمى هو نشوته الروحانية .

آدم : أطلب منك العفو .

جرانديير : لك هذا . ولكنى لا يجب أن أبقى هنا أتبادل معكم الآراء العميقة ، مهما اشتد أغراوكم لى . ولذا استودعتكما الله ياسيدى الجراح وياسيدى الصيدلى .

(جرانديير ينصرف والناقوس يدق)

مانورى : لقد وقعتَ فى شباكه يا آدم . لا تشغل نفسك قط مع رجل أريب .

آدم : كانت تفوح منه رائحة الأرملة . يا للقذارة .

مانورى : طبعاً . ولقد عاد توا من لدنها .

آدم : بعدما أدخل على نفسه البهجة هذا الصباح حينما كانت الفتيات يعترفن له بخطاياهن —

مانورى : بلغ بنفسه ذروتها فى فراش الأرملة عصراً —

آدم : ثم أتى إلينا يتثاءب فى وجوهنا

مانورى : هذا المساء —

آدم : هذا المساء سيقضيه فى بيت عظيم ، عند دارمينالك ودى سريزاى . يطعم ، ويتسلى ، وتتملقه النساء بضحكاتهن .

مانورى : يا لها من — انى آسف . ماذا كنت تريد أن تقول

آدم : كنت أريد أن أقول يا لها من « حياة »

مانورى : وهذا ما كنت أريد أن أقوله .

آدم : إننا لا ندعى قط إلى أمثال هذه الأماكن .

مانورى : كثيراً ما فكرت فى ذلك .

آدم : وكيف تعزى نفسك ؟

مانورى : بذكرى أننى رجل شريف أقوم بعمل شريف .

آدم : وهل يكفيك هذا ؟

مانورى : ماذا تعنى ؟

آدم : التقط الرأس وسر معى .

(يسيران فى الطريق ، ويدخلان بيتاً)

(جرانديير يدخل الكنيسة ، ويركع عند المذبح، ويصلى)

جرانديير : الهى . إن ابنك المسكين يجب أن يصل إلى نعمائك. انى أتحدث وفوق كاهلى متاعب خمسة وثلاثين عاماً . وهى أعوام مثقلة بالكبرياء والطموح . بحب النساء وحب النفس . أعوام يلطخ صفوها الترف والزينة. وقت استنفذته فى كوني لا شيء، فى كونى رجلا .

انى أسجد لك خاشع القلب ، مهدود القوى .
وأسألك يا رب أن تنظر إلى بالمحبة . واضرع إليك
يا الهى أن تستجيب لدعائى . اهدنى الصراط
المستقيم ، أو أوجد لى مخرجاً .

(صمت)

الهى ، ربى ، الهى . اعف عنى . حررنى . هذه
الحاجات . ارحمنى يارب ، حررنى . فى الساعة
الرابعة بعد ظهر التلاثاء . حررنى يا إلهى .

(ينهض ، ويصيح)

Rex tremendae majestatis, qui
salvandos salvas gratis, salva me,
salva me, fons pietatis ! (1)

(دى لاروشبوزاى ، أسقف بواتييه ، ورهبان
من الفرانسيسكان والكرمل)

دى لاروشبوزاى : كنت وحيداً لعدة أيام خلت . ولعلكم تريدون
أن تعرفوا إن كنت قد بلغت نعمة ربى . ربما كان
ذلك ، لأنى شديد الألم والنفور من حماقة الإنسان

---

(١) ومعناها بالعربية : ايها الملك ياذا الجبروت ، يامن تنجى بغير رحمتك
من يستحق النجاة ، نجنى ، نجنى ، يامصدر الرحمة .

وشره . وتسآلونى : هل هذه هى رحمة الله .
وأجيب . ربما كانت هى رحمته . دعنى أحدثكم
عن ظروف الوحى .

حبست نفسى فى غرفتى سبعة أيام ، أصوم
وأصلى ، فرأيت نفسى أداة بسيطة لإرادة الله .
وشعرت بسعادة ونشوة وخضوع حتى تمنيت
ألا أعود إليكم . ودعوت الله أن يصيب
بدنى بالذبول ، ولا يترك لى إلا صفاء الروح .
غير أن احساسى بالواجب كأسقف لكم ارغمنى
على أن أتخلى عن هذه الجنة . فعدت إلى العالم .
وأراد أحد قساوسة لودان ، واسمه جراندير .
أن يقابلنى . وهو من أبنائى ، مثلكم جميعاً يا أحبائى
وأردت أن أمنحه حبى ، لولا أن منديله كان
معطراً . ولو أن هذا الرجل صفعنى على وجهى
لكان ذلك أقل إذلالا لنفسى . إن الصدمة التى
وقعت على حواسى كانت من الفحش بحيث
أصابنى التمزع . عطور لرجل مذاق الماء عنده
كان كالنار ، وصوت الطيور فى البستان كصياح
من لحقتهم لعنة الله . انى مكدود . أزيلوا هذه
الخواتم من أصابعى .

ربما قابلتم وأنتم فى طريقكم من الأبرشية إلى هذا المكان طفلا يبسم لكم ، أو اجتذبت أنظاركم زهرة ، أو رائحة العشب الجديد على جانب الطريق . هل بعثت فيكم هذه الأشياء احساساً غير السرور ؟ وربما ضل أحدكم طريقه وهداه إليه رجل غريب . فهل رأيتم فى عمله هذا شيئاً غير الشفقة ؟

دعونى أقول لكم هذا . ليست هناك براءة اطلاقاً . ارتابوا فى الخير الذى يصدر عن الناس ، والفظوا الشفقة .

لأن كل متعة ظاهرة اقرار للذات ، وإقرار الذات عند الانسان هو غلبة الشيطان . عندما نشر هذا المنديل فى وجهى هذا الصباح ، وقعت عينى عليه وكأنى فى رؤيا . رأيته علماً ضخماً يرفرف فوق العالم ، تفوح منه الرائحة الكريهة ، ويلف كنيستنا المحبوبة ويغمرها بالعار وحب الشهوات. اننا فى خطر .

ابعدونى عن هذا المكان . ابعدونى .

(دى لاروشبوزاى يساق بعيداً . ويبقى الأب بارى والأب رانجير وحدهما)

رانجير : كيف تسير الأمور فى ركنك من هذا العالم ؟

باري : إنى مشغول جداً .

رانجير : هل هو معكم ؟

باري : بغير انقطاع .

رانجير : هل نستطيع أن نسميه .

باري : إن أردت . انه الشيطان .

رانجير : وكيف تسير المعركة ؟

باري : لن ايأس

رانجير : يبدو عليك الاجهاد .

باري : المعركة مستمرة ليلا ونهاراً .

رانجير : إن روحك مضيئة .

باري : لم تتحطم على أية حال . ولكن شينون لا تظفر الآن بلحظة هدوء . كنت منذ بضعة أيام أقوم بمراسم عقد زواج . وكان كل شيء يسير على ما يرام . كان أمامى زوجان شابان ، جاهلان فيما حسبت ، لكنهما طاهران . ولم يدر بخلدى عنهما غير ذلك . وبلغت مباركتى لهما ، وكنت على وشك أن أدفع بهما إلى العالم زوجاً وزوجة ، حينما حدث اضطراب عند الباب الغربى . ذلك ان بقرة قد اقتحمت الكنيسة وكانت تحاول أن

تشق طريقها وسط المصلين . وعرفت الحقيقة فى الحال بطبيعة الأمر .

رانجير : عرفتَ إنها هو ؟

بارى : افصح يا رانجير ، وسمّه (ويصيح) إنه الشيطان !

رانجير : إنك لا تخُدع قط .

بارى : وقبل أن أستطيع التصرف ، خرج(١) من البقرة إلى ام العروس ، فارتمت على الأرض فى شبه صرع . ثم كان اضطراب مريع بطبيعة الحال ، ولكنى بدأت فى « إخراج الشيطان » فى الحال . وهناك زوجان لن يتخليا عن حفل زفافهما على عجل .

رانجير : وكيف انتهى الأمر ؟

بارى : صاحت الروح فى الكنيسة وكأنها ريح عاتية . وظهر على جبين الفتاة شىء يلطخه ويشبه الطين الأسود . وظننت أنها وقعت ، ولكنى كنت أكثر منها علماً بطبيعة الحال . ولم يكن ذلك كل ما فى الأمر . فقد جاءنى الزوج بعد يومين وقال لى إنه وجد نفسه عاجز أكل العجز عن أداء واجبه الضرورى . لقد مسه الشيطان كالعادة كما تعلم .

(١) يشير الى الشيطان

وقد شرعت أبحث فى الأسرة كلها .

رانجير : إن مثل هذا الأمر لابد أن يأتى بعدد كبير من الناس إلى شينون .

بارى : ألوف من الناس .

رانجير : الناس يزداد اهتمامهم اليوم بالشر .

بارى : لقد عاون ذلك بالتأكيد على زيادة عدد زوار حرم كنيستى بعدما أخذ يهبط بشكل مؤسف . انهم يقصدون صورة نوتردام دى ريكفرانس (أو الشفاء) .

رانجير : وانت تعلم بطبيعة الحال كيف حدث ذلك .

بارى : بالتأكيد إنهم جميعاً يؤمون لودان الآن . إن شخص جراندير هذا ، الذى ازعج الأسقف ، هو المسئول عن هذا . أنه يروّج لمركزه بشكل مشين .

رانجير : إن فى اشكال عمل المعجزات طرزاً كما أن لقبعات السيدات طرزها .

بارى : هذا حق. غير أن فى الشر ثباتاً تطمئن له النفس. لابد لى أن انصرف .

رانجير : لأمر هام ؟

باری : لابد لی من زيارة مزرعة . إنهم يقولون إن شيئاً يتكلم من خلال الحبل السرى لإحدى الطفلات. والطفلة ذاتها الآن تتبادل مع هذا الشيء الحديث . وقد قيل لى إن الصوتين قد بثا معاً مذهباً عجيباً فى انتهاك حرمة المقدسات .

(ينصرف رانجير وبارى فى طريقين منفصلين)

(جراندير وحيداً ، وبيده بضع صفحات من قصائد الشعر ويتقدم إليه ترانسانت)

ترانسانت : فضل منك أن تزورنى يا أبى جراندير .

جراندير : عفواً لقد عدت ومعى قصائدك .

ترانسانت : حسناً . إن دارمنياك يرى أن أى قصور إنما يعود إلى الحياة فى الريف .

جراندير : انك تدون هذه القصائد عند عودتك من مكتبك .

ترانسانت : كل يوم .

جراندير : وسط روائح الطهو .

ترانسانت : إنها تقذف بى بعيداً .

جراندير : ووسط ضجيج الحياة العائلية .

ترانسانت : إنها تقطع على سلسلة التفكير .

جراندير : ونذا فمن الطبيعي أن تصدر عنك ــ هذه

ترانسانت خلصني من شقائي . إني بحاجة إلى رأى مخلص .

جراندير : أنت رجل لك مكانتك فى هذ البلد يا ترنسانت . والرجال الذين يشغلون المناصب العامة لا يتوقعون الاخلاص .

ترانسانت : حدثني باعتبارى شاعراً لا باعتبارى نائباً عاماً .

جراندير : حسناً ان شعرك ــ

(فيليب ترنسانت تدخل) .

ترانسانت : ما بك ؟

فيليب : أريد أدواتى للخياطة يا ابت .

ترانسانت : خذيها من فضلك (إلى جراندير) هذه كبرى بناتى ، فيليب ، ماذا كنت تقول ؟

جراندير : كنت أهم بالقول أن مبتكراتك ــ هذه الصفحات ــ لها قيمة كبرى . يبدو أنها ملاحظات أدبية ذات طابع غير مألوف .

ترانسانت : حقاً ؟

جراندير : (لفيليب) .. ألا تظنين ذلك ؟ أننى أتحدث عن شعر أبيك

ترانسانت : إنها تجهل هذه الأمور كل الجهل . وأنت تعلم أنها كأمثالها من الفتيات الصغيرات كل ما يهمهن الرقص ، والموسيقى ، والضحك . أما الأمور الرفيعة فليست لها قيمة .

جراندير : يجب أن تتعلم .

ترانسانت : يتعذر وجود شخص ملائم فى هذه المدينة — اللهم إلا —

جراندير : (إلى فيليب) هل تتكلمين اللاتينية ؟

فيليب : قليلا

جراندير : لا يكفى

ترانسانت : اللهم إلا —

جراندير : إنها لغة دقيقة تمكنك من التعبير تماماً عما تعنى . وهذا نادر فى هذه الأيام . ألا توافقيننى ؟

فيليب : نعم إنه نادر .

ترانسانت : اللهم الآن تعهدت أنت أيها الأب جرانديير بالتعليم.

جرانديير : تعليم ابنتك ؟

ترانسانت : نعم

جرانديير : أنا رجل مشغول

ترانسانت : يوم واحد فقط فى الأسبوع . ساعات قلائل فى تذوق الأمور الرفيعة. ويمكن أن يتم ذلك بالمحادثة. وربما بقراءة شعر لاتينى مناسب .

جراندير : حسناً .

ترانسانت : هل يكون ذلك يوم الثلاثاء ؟

جراندير : كلا ليس يوم الثلاثاء . اليوم التالى .

(آدم ومانورى ... يجلسان فى الصيدلية تحت تمثال محشو ومثانات مدلاه . وينعكس الضوء خلال زجاجات تحتوى على مخاوقات مشوهة) .

آدم : (يقرأ فى كتاب صغير) فى الساعة الخامسة والنصف يوم الثلاثاء خرج من بيت الأرملة .

مانورى : الرجل كالآلة ، ولكنه مع ذلك مشوّق . هل يمكن أن ترتبط الاستجابة الجنسية بالزمن ؟

آدم : فى الساعة السابعة والنصف شوهد وهو يتحدث علانية مع دارميناك . والموضوع مشكوك فيه ، وإن كان جراندير قد شوهد وهو يضحك مرتين مستهتراً . وتناول العشاء وحده ، وفى وقت متأخر عن العادة ، فى التاسعة.وظل الضوء مشتعلا

فى حجرته حتى بعد منتصف الليل .

مانورى : أظن ذلك ممكناً .. إذا قلتُ للمرأة فى منتصف الخامسة يوم الثلاثاء سوف آتيك لامتعك ثم — واظبت على ذلك بضعة أسابيع لم تعد بى حاجة الى ان أقول لها انى سأفعل ذلك. فتوقعها لى يغنى عن قولى . يوم الثلاثاء ، فى منتصف الخامسة . ثم تحدث الظواهر الفسيولوجية المعروفة . ان هذا الموضوع يصلح للبحث . لابد لى أن أفكر .

آدم : (يقلب صفحة من الكتاب) اكتُشف فى الفجر جاثيا على ركبتيه أمام المذبح . وكان مسترخياً طوال الصباح . ثم تناول وجبة فى الساعة الثانية والربع . تناول قطعاً من الخبز الحلو بالقشدة ثم قطعة من الجبن القديم مع النبيذ . وفى الساعة الثالثة دخل بيت ترانسانت لتعليم ابنته فيليب .

مانورى : ما أشد فطنتك يا آدم ؟

آدم : هل ترانى كذلك الآن ؟

مانورى : لقد نطقت بكلمة « تعليم » بطريقة مصطنعة تدل على معنى آخر .

آدم : شكراً لك .

مانورى : ولكن سامحنى يا صديقى العزيز ان أنا سألتك شيئاً ما . كيف نتابع الموضوع ؟ ان ملاحظاتك عن تحركات جرانديير تدعو إلى العجب . غير أن هذه التحركات قد تكون من عادات أى رجل . ويستحيل علينا أن ندينه بمثل هذا الدليل .

آدم : اعطنى الوقت يا مانورى . قطعاً إننا لن نكشف عنه بتتبع عاداته، ولكن الشهوة تشده من أنفه. ولا بد للشهوة من شريك . فهل هى الأرملة نينون ؟ أم هل هى فيليب ترانسانت ؟ أم هى غير هذه وتلك ؟ من يدرى ؟ ولكن الوقت آت . صبراً .

(الأخت جان دى زانج وحيدة . جاثية)

جان : إننى أهب نفسى فى خشوع لخدمتك . لقد خلقتنى امرأة صغيرة فى تكوينى البدنى وفى روحى . وكل ما أملك كذلك خيال ضيق . من أجل هذا بحكمتك العظيمة يارب حملتنى هذا العبء الناتىء على ظهرى يذكرنى يوماً بعد يوم بما ينبغى لى حمله . الهى . إنى أجد عسراً فى التقلب على فراشى . ولذلك فإنى فى ساعات الفجر — ساعات

اليأس — اتذكر ما حملتنى — الصليب — على الطريق الطويل .
لقد اكسبتَ حياتى معنى عند تعيينى فى هذا البيت — بيت أرسولين . وسوف أحاول أن أرشد الأخوات فى هذا المكان . وسوف أؤدى واجبى كما أراه .

(صمت) .

الهى . الهى . لقد وجدت مشقة كبرى فى الصلاه منذ كنت فتاة صغيرة . ولطالما تمنيت أن يكون فى باطنى صوت آخر أعظم من صوتى أحمدك به . بنعمتك يا رب أتيت إلى هذا المكان صغيرة . اللهم ارحم ابنتك . اللهم ابعث فى نفسها الأمل . ولكنى مع ذلك سوف أكنس البلاط ، وأرتب الفراش جيداً ، وأنظف الأعمدة باتقان (صمت) رحماك اللهم (صمت) . سوف أجد طريقاً . أجل . سوف أجد طريقاً إليك . سوف آتيك . وتضمنى بين ذراعيك المقدستين . وسوف تسيل بيننا الدماء ، فتوحد بيننا . ان طهارتى لك . (صمت) (فى لفظ حاسم) أتوسل إليك يا الهى أن تزيل عنى حدبتى حتى أستطيع أن استلقى على ظهرى دون أن يتدلى رأسى (صمت) هناك

طريق لابد لى أن التمسه . اللهم اجعل نور محبتك الأبدية .... (ثم تهمس) آمين .

(تنهض الأخت جان ثم تنصرف) .

(جراندير وفيليب : تُرى وهى تقرأ)

فيليب : Foeda est in coitu et brevis voluptas, et taedet Vereris statis peractae (1)

جراندير : ترجمى أولا بأول ، وسطراً بسطر .

فيليب : المتعة فى الحب ...

جراندير : فى الشهوة .

فيليب : المتعة فى الشهوة قذرة وقصيرة الأمد . والمرض ..

جراندير : الملل

فيليب : والملل يعقب الرغبة .

جراندير : استمرى

فيليب : non ergo ut pecudes libidinosae caeci protinus irruamus illuc (nam languescit amor peritque flamma).(2)

---

(١) معناها بالعربية : ان لذة الجماع الحرام ممقوتة وقصيرة الاجل وان الحب الجنسى متى قضى تعافه الشرائع .

(٢) معناها بالعربية : ولذلك لانندفع قدما بجهالة الى تلك الوجهة مثل البهائم الشهوانية « لان الحب الجنسى يضمحل ويخمد اواره »

(تتوقف)

لسنا كالحيوانات نندفع إليها فإن الحب بذلك

يموت ، والشعلة تنطفىء

جراندير : هذه ترجمة نثرية ، وان تكن صادقة . سلميني

الكتاب (يقوم بالترجمة) .

في وقت الفراغ الدائم

استلق في صمت

وقبل الزمان يمضي

هكذا . هكذا .

فلا ملل ولا خجل ،

في هذه الآونة ، في الحاضر وفي المستقبل

تكون المتعة كلها .

ليست لها نهاية ،

وإنما هي بداية أبدية .

لماذا تبكين يا بنيتي ؟

فيليب : لم تكن صحتي جيدة .

جراندير : هل تجدين هذه الدروس القصيرة ثقيلة عليك ؟

فيليب : كلا ، كلا ، إنني أحب (١) — انني أستمتع بها كثيراً .

---

(١) هنا تتلعثم الفتاة لانها تعني حب جراندير وتتحدث عن متعة الشعر .

جراندير : إننا لم نؤد منها غير ستة . وقد فكرت فى استمرارها حتى اواخر العام .

فيليب : بطبيعة الحال . حسبما تريد .

جراندير : حسبما تريدين أنت يا فيليب . إنها لمنفعتك

فيليب : إننى توافقه جداً لكى أفهم كل شىء .

جراندير : كل شىء ؟

فيليب : إن فى باطنى كامرأة دوافع لابد لى من ادراكها إن كان لابد من مقاومتها .

جراندير : أى دوافع يا فيليب ؟

فيليب : ميول —

جراندير : استمرى

فيليب : ميول نحو الخطيئة .

(صمت)

(يقف دارمنياك على أعلى قمة من حصون المدينة. مجلس الولاية منعقد . ترى على البعد أشباح . لويس الثالث عشر ملك فرنسا وريشيليو)

ريشيليو : الأمر سهل الإدراك يا سيدى . الورقة التى لديك

مقاومة . إن الحكم الذاتى للمدن الريفية الصغيرة فى فرنسا لابد أن ينتهى . والخطوة الأولى هى هدم جميع أنواع الحصون .

(جراندير يقترب — من أسفل — من دارمنياك)

دارمنياك : إذن فالدور على هذه المدينة .

جراندير : هل لابد أن ينهار كل شىء ؟

دارمنياك : هذا ما يريدون . إنها حيلة بطبيعة الحال . ريشيليو يجلس مع الملك فى باريس . ويهمس فى أذنيه .

ريشيليو : لابد أن تتحرر فرنسا فى داخلها ان أرادت أن تقرر مصيرها بنفسها .

دارمنياك : ان الريفيين الجهال الماكرين من أمثالنا لاتجاوز أبصارهم أسوار المدينة . ولذا جاءتنا الأوامر من الكردينال لتحطيمها . هل يوسع ذلك من أفق أنظارنا ؟

ريشيليو : إن الرجال من أمثال صديقك دارمنياك ياسيدى قصار النظر . ولاؤهم لمدينهم وليس لفرنسا .

جراندير : هل عللوا هذا الأمر ؟

دارمنياك : عندما يكون الرجل مشغوفاً بالسلطة مثل ريشيليو يستطيع أن يبرر أعماله بالسخافات .

ريشيليو : إن أمثال هذه الحصون تهيىء الفرص لثورة البروتستانت .

دارمنياك : أنظر . أنها مدينة قديمة . إن هذه الأسوار لاتصد تيار الهواء فحسب . وتلك البروج ليست لمجرد الزينة . ومن تلك القلعة كنت أحاول أن أدير مملكتى الصغيرة بحكمة معقولة. لأنى أحب المكان .

جراندير : يجب أن ترفض هدمها . وهل سوف يعارض الأمر حكام آخرون فى الأقاليم .

دارمنياك : أشك فى ذلك .

جراندير : وهل سوف نعارض نحن ؟

دارمنياك : نحن ؟

جراندير : دعنى أعاونك فى هذا الأمر يا سيدى .

دارمنياك : هل أنت جاد ؟ إن إلى جانب الملك فى باريس رجلا من رجال الكنيسة . وأنت باعتبارك رجلا آخر من رجال الكنيسة إلى جوارى هنا هل تريد كذلك أن تستغل هذا الموضوع لأغراضك الخاصة؟

جراندير : إن الصراع يجذبنى يا سيدى . والمقاومة ملزمة لى.

دارمنياك : إنهم يستطيعون تحطيمك .

جراندير : حقاً انى ضعيف . ولكن الصراع لا يكون بين
قوتين متكافئتين . ان الأمر عندئذ يكون نفياً .
يسود السلام . وإذن فلتسمح لى أن أعاونك
بكل ما لدى من حماسة الفشل .

دارمنياك : لا تبتسم . إنهم يستطيعون تحطيمك .

(دى لوباردمنت ، مندوب الملك ، يقف أسفل
ريشيليو والملك
ريشيليو يتحدث إليه) .

ريشيليو : إن دارمنياك حاكم لودان قد رفض أن يطيع الأمر .
إذهب إلى المدينة . وقد أديت لى من قبل خدمات .
انتظر . هناك رجل اسمه جراندير . إنه قسيس .
أجل ، هناك رجل يسمى جراندير . أذكر ذلك .
(دى لوباردمنت ينصرف)

صوت امرأة مختفية

Lux aeterna luceat eis, Domine, cum Sanctis tuis in aeternum, quia puis est.
Requiem aeternam dona eis, Domine, et Lux perpetua luceat eis.(1)

---

(١) ومعناها بالعربية : ليشرق ، ايها الرب ، النور الابدى عليهم فى صحبة قديسيك دواما لانك رحيم . وامنحهم الراحة الابدية ، ياربى ، وليشرق عليهم النور الابدى .

(الأخت جان ديزانج ـ الأخت كلير من أتباع سنت جون ـ الأخت لويز من أتباع يسوع ـ الأخت جبرائيل من المؤمنات بالتجسيد ـ يدخلن)

جان : كانت خسارتنا فادحة أيتها الأخوات . كان الكاهن موسو رجلا عجوزاً طيباً .

كلير : هى ارادة الله

لويز : إرادة الله

جان : هذا ما تعلمناه . لكن موته ـ برغم ذلك ـ يخلق لنا مشكلة . فنحن فى حاجة الى مدير . ومن الحق ان الرجل شغل هذا المنصب بجدارة لعدة سنوات . بيد ان حياة الآثمين مستمرة قطعا . ولابد لنا من معرف للتائبين منهم .

لويز : وهل وقع اختيارك على احد يا امى ؟

جان : الله يختار لنا

كلير : سوف ندعو الله

جان : فلتفعلى ذلك . هناك ـ (تصيبها نوبة سعال) . لاتمسوا ظهرى . (سكون ، واجهاد) هناك رجل اسمه جرانديير . انه شاب . لم اره قط ، ولكن الله كثيرا ما اودعه افكارى اخيرا . اقصد ...

(صمت)

كلير : ما الامر

جان : كلير ؟

كلير : ماذا تحدقين فيّ هكذا ؟ هل قدمت اساءة ؟

جان : (تسرى الفتاة) كلا ، كلا ، اقصد ان اكتب الى هذا الرجل الطيب واطلب اليه ان يكون مديرا لنا . جراندير . جراندير . انه الوحي كما تعلمن . لقد احتل افكارى . جراندير .

كلير : انها ارادة الله

لوير : ارادة الله

جان : (تضحك ضحكا جافا مفاجئا) انني اكاد اموت من الاجهاد .

(صمت – في هدوء) هذا حل رائع عملي . انه يستطيع ان يرشدنا الى طريقة تربية الاطفال الذين يوضعون تحت رعايتنا . وسوف يرعى حاجاتنا الروحانية (تضحك مرة اخرى) . ويستطيع ان يصنف هذه المشكلات الدينية المتقدمة اللعينة التي تحيرني يوما بعد يوم . نعم انه اختيار موفق . اتركوني وحدي .

(الاخوات ينصرفن — وتنادى جان كلير لكى تعود)

جان : كلير !

كلير : نعم

جان : يقولون ان عينىّ جميلتان . هل هذا صحيح ؟

كلير : اجل يا امى

جان : أجمل من أن أغمضها حتى فى حالة النوم على ما يظهر . انصرفى مع الاخريات

(جـــان وحيــده)

جان : كان صباحا صائفا . والأطفال يلعبون. فتى وفتاة. والمراكب الشراعية المصنوعة من الورق تطفو فوق البركة . وقد اشرقت الشمس حامية فوق الروؤس فى ذلك اليوم . وربض الأطفال يحدق بعضهم فى أعين بعض عبر صفحة الماء . هل كان ذلك حبا ؟ صوت ايقاع . انه ضفدع فوق الصخر . انه بنق . هذا صبى رأسه مائل إلى جانب يبتسم ، وصوت رقيق يهمس فوق الماء . انظرى. تحدثى إلى أخيك ياجان . هيا بنا يا أخى جرين . أقفز . تحدثى اليه يا جان (تضحك ثم تصمت)

سامحني لضحكي يارب . ولكنك لم تزودني بقوة الدفاع . أليس هذا صحيحا يارب ؟

(جان تتجه إلى النافذة وتفتحها . وتحدق ببصرها خلال النافذة)

(ترى الشارع . ودكانا في السوق . وترى الناس يغدون ويروحون ، يشترون ويبيعون . وترى أطفالا . وتمر عربة نقل . وتسمع أغنية . ويسير جرانديير وسط الزحام . وهو في حلته الكهنوتية ، رائع ، ذهبي اللون في ضوء النهار الذي أخذ في الزوال . خطوه سريع . واثق من نفسه . نشوان .

جان تصيح

ولا يسمع الجمهور صياحها ، غير أن جرانديير يتوقف عن المسير ويتلفت حواليه ، ويتفرس وجوه المارة ، متعجبا أي رجل أو امرأة منهم انفعل فصدرت عنه صيحة الألم التي طرقت اذنه وسط هذا الاضطراب . ويرى جرانديير وهو يصعد سلما . وجان تكتب . تخط بسرعة وبحدة خطا مزخرفا) .

(الطريق العام . يرى آدم ومانورى وسط الزحام . ثم يتقدمان)

مانورى : أول ماينبغي عمله ان نكتب عريضة

آدم : عريضة اتهام ضد جرانديير

مانورى : بالضبط . اننا نعرف دعارته

آدم : بل نجاسته

مانورى : وقلة ورعه

آدم : وهل هذا يكفى ؟

مانورى : لابد أن يكفى

آدم : مؤقتا

مانورى : ونقدم الصحيفة للاسقف

آدم : لابد من إجادة الصياغة

مانورى : طبعا . نصوغها فى لغة سليمة ، لائقة للتداول –

آدم : طرأت لى الآن فكرة

مانورى : ما هى !

آدم : ما اكثر نقدنا نحن أبناء الطبقة الوسطى ، لا لشىء إلا لأننا نحب أن نكون المواقف لطيفة مقبولة . آسف . استمر . ماذا نقول فى العريضة ؟

مانورى : نقول ؟ (يتوقف) انما نقرر

آدم : ذلك لا يهم

مانورى : كلا ، بل هى الوسيلة

آدم : يجب أن تكون الغاية نصب أعيننا

مانورى : دائما

(ينصرفان)

(كرسى اعتراف . جراندير وفيليب يتهامسان أثناء الحديث كله)

جرانديو : متى كان آخر اعتراف لك يابنيتى ؟

فيليب : منذ اسبوع ، يا أبى

جرانديو : ماذا تريدين ان تبوحى لى به ؟

فيليب : ابى لقد أذنبت . وعانيت من الزهو بنفسى

جرانديو : يجب أن نكون دائما على حذر

فيليب : بالأمس أكملت بعض أشغال الأبرة ، وكنت بذلك فى نشوة

جرانديو : ان الله يسمح لنا بالرضى عن العمل الذى نؤديه

فيليب : وارتكبت الخطأ عن طريق الغضب

جراندير : خبريني

فيليب : أغاظتني اختي — وودت لو كانت فى مكان آخر

جراندير : أنت من ذلك فى حل . هل من شيء آخر
(صمت) هيا ، غيرك فى الانتظار

فيليب : ساورتني شكوك دنسه

جراندير : ما طبيعتها ؟

فيليب : عن رجل

جراندير : بنيتي —

فيليب : فى الساعات الأولى من الصباح ... وكان فراشي
حارا إلى درجة الاختناق ... طلبت إليهم أن
يزيلوا الستائر المخملية .... ان افكاري فاسدة ...
ولكنها مع ذلك رقيقة ... جسدي .... ابي ....
جسدي .... اردت أن يلامس

جراندير : وهل حاولت أن تقمعي هذه الأفكار ؟

فيليب : نعم

جراندير : وهل تراودك هذه الأفكار ؟

فيليب : كلا ، فقد دعوت الله

جراندير : وهل تريدين من ذلك الخلاص ؟ (صمت)
أجيبيني يابنيتي

فيليب : كلا . انى أريده ان يأخذنى — بل يمتلكنى — بل يهدنى هدا . انى احبك . قصدت ان اقول انى احب الله ! احبه !

(يخرج جرانديير من المقصورة . وتغلبه الرأفة . وبعد لحظة يزيح الستار وترى فيليب . ويقفان وجها لوجه)

(دى لاشبوزاى . آدم ومانورى امامه فى خضوع)

دى لارشبوزاى : لقد نظرت فى العريضة التى قدمتماها ضد القسيس جرانديير . إننا نعرف انه رجل خطر ليس عنده تقوى أو ورع . منذ بضعة أشهر عانينا بأنفسنا الاهانة والذلة بمحضره . غير أن هذه مسألة لا تهم . ماشكواكما ؟

مانورى : نشعر يامولاى الأسقف ان جرانديير يجب أن يحرم من ممارسة اعمال الكهنوت

دى لارشبوزاى : ما عملك ؟

مانورى : أنا جراح

دى لارشبوزاى : هل يسرك أن اعطيك دروسا فى عملك ؟

مانورى : انى دائما على استعداد لأن اتلقى النصيحة

دى‌لارشبوزاى : لا تتكلم كما يتكلم الغافلون . هذه العريضة القذرة سيئة العبارة لاتخبرنى بشىء لا أعلمه عن الرجل . كل ما أجد هنا تهم غامضة هستيرية عن ارامل وحيدات وعذارى عاشقات ولست على استعداد لأن أدير شئون هذه الاسقفية على مستوى محاكم الشرطة

آدم : ان له أصدقاء أقوياء

دى‌لارشبوزاى: كف عن الهمس . ماذا تقول ؟

آدم : ان جرانديير يحميه أصدقاؤه

دى‌لارشبوزاى: ما أسماؤهم

مانورى : (لآدم: ينبهه بوكزة بكوعه) استمر

آدم : دارمنياك ودى سيريزاى وغيرهما

دى‌لارشبوزاى: انى أقبل نواياكم المعقولة التى ساقتكم إلى هذا المكان . وعلم الله — برغم هذا — انى ان كنت لا أثق فى أحد فهو المواطن الطيب الذى يتجاوز واجبه المدنى . ان دوافعه هى فى العادة الحقد أو المال . ولكنى لا أقبل آراءكم أو نصيحتكم أو حتى محضركم لحظة واحدة بعد هذا .

(آدم ومانورى ينصرفان)

دي لارشبوزاي : (لمساعده) ان حماية الكنيسة من المبدأ الديمقراطي الذي يبيح لكل فرد أن تكون له كلمة أمر حيوي . ربما كان صدقا ما قال هذان الرجلان . ولكن ينبغي الا يسمح لهما بالظن انهما يؤثران في أحكامنا بأية حال .

(جان وحيدة . بيدها كتاب الصلوات . بالليل . تدخل عليها كلير)

كلير : سلمونا هذا عند الباب

(جان تتناول الخطاب من كلير ، وتفضه ، ثم تقرأ)

جان : لقد رفض

كلير : الاب جرانديير ؟

جان : (تقرأ بصوت مرتفع) أختي العزيزة . يؤسفني أشد الأسف أن اجدني مضطرا الى رفض دعوتك لكي أكون مديرا لبيتك . أن ضغط الأعمال التي أؤديها في المدينة لا يسمح لي بالوقت الذي يمكنني من تكريس وقتي لمصلحة اخوتك . واني أقدر أجمل التقدير كل ما ذكرت عن

صفاتى و . . . (جان تمزق الخطاب من أعلاه
إلى أسفله وتضمه إلى جسدها)

جان : شكرا لك يا اختى

(كلير تنصرف ـ جان وحيدة)

جان : ما هذا اللغز المقدس ؟ دعنى أرى . (تضحك)
كنت على وشك أن اتجه الى الله فى هذا الأمر .
إنها العادة . هى العادة . غير أن ذلك لا يجدى.
كلا . لا بد ان اتجه الى «الرجل» (ثم تهمس
باسم «جرانديير ») .
تيقظ (١). لقد انبثق الفجر على غيرك من قبلك.
أنظر إلى النافذة الرمادية الصغيرة ثم تقلب .
انها ترقد إلى جوارك . وهى فى وضع قد يكون
للصلاة أو للوصال . ومن فمها تفوح رائحة
النبيذ والبحر . وجلدها ناعم كالحرير، يبلله
العرق . وروائح جسدها الطبيعية قد بددت بالليل
روائح النهار الطيبة .

(فيليب تشاهد وهى تتبادل الحب عارية مع

---

(١) تخاطب جرانديير

جرانديو . وهما يريان في وضع الملامسة المعروفة اثناء الانفعال بالشهوة خلال ما تردد جان من كلمات)

جان : انظر اليها(1). ماذا تحس؟ بالاسى؟ لا بدان يكون بالاسى . انك رجل وهي الآن تمد ذراعيها فوق رأسها . الا تتأثر . ليس هذا من فنون العاهرات مهما زعمت . انها ترفع ساقيها ، وتلفهما ، وتضع أصبعا على شفتيك وفمها على أصبعها . انها تهمس . لقد تعلمتْ هذه الكلمات . انها تعيد الدرس فقط . هذه القذارة هى الحب عندها. والحديث عنه من الايمان . (تضحك ضحكة مفاجئة) ما هذا الذى فعلتَ . تمد جسدك لكى تمسك بالفراش المتساقط . هل تريد ان تغطى عريك ؟ وهل فى هذا الأمر خجل ؟ (صمت ثم فى تعجب) يا للعجب ! وتستطيع كذلك أن تضحك ؟ ان ذلك امر لم أكن أعرفه . الألم ، والنسيان ، وفقدان العقل ، والجنون . هذا ما حسبت أن يكون فى فراشك . أما الضحك ... انكما تبدوان فى سن الشباب . أهدوء مرة

---

(1) تخاطب جرانديو

اخرى ! ان الفتاة ثقيلة على ذراعيك . لقد
تثاءبت ، وتلقيت رعشة بدنها . انك ترتعد
رغما عنك . أنظر إلى الشمس . انها تبدد الضباب
في الحقول . وسوف يغمرك النهار . انهل
ما استطعت . لينهل كلاهما ما استطاعا . الآن .
(تبكي) هذا الجنون ، هذا التزيق ، هذا اللحم
على لوحة الجزار . اين أنت ؟ الحب ؟ الحب ؟
ماذا تكون ؟ الآن . الآن . الآن .

(جان ترتمي على ركبتيها ، متشنجة . وقد
اختفى عن العيان جرانابير وفيليب)

جان : (مختنقة في صوت فتي) يا الهي . هل هذا هو
الأمر ، هل هذه هي الحكاية ؟

(ظـــلام)

(دار منياك — دي سيريزاي — دي اوباردمنت)

دي اوباردمنت : ليس الأمر موضوع اتفاق . انما انا هنا كمندوب
خاص للملك . ولكني غير مخول للمفاوضة .
اني آسف يا دار منياك

دار منياك : تعلم يا اوباردمنت ان الرجال الراشدين في هذه

البلاد بدأوا يعلون إلى حد ما ظهور اشخاص
يزعمون حق الأبوة لمصلحتنا كما يقولون . قد
ينظر الى فرنسا على انها أشبه بالمرأة تتصف
بالخضوع ، ولكنها ليست طفلة .

لوباردمنت : انى أميل إلى الاتفاق معك فى الرأى . ولكنى
لست هنا للجدل . انما أحمل رسالة .

دار منياك : امرأ . دكوا الحصون

لوباردمنت : تلك هى الرسالة . أى رد اعود به ؟

دار منياك : انى ارفض

لوباردمنت : عندى إحساس عجيب

دار مناك : بالخوف ؟

لوباردمنت : كلا ، كلا ، انكم فى هذا القرار قد وقعتم تحت
تأثير . وان وراء عنادك ضغط .

دار منياك : القرار منى وحدى . باعتبارى حاكم المدينة
(جراندير يقترب)

دار منياك : هل تعرف الاب جراندير ؟

لوباردمنت : سمعت عنه

دار منياك : هذا هو

اوباردمنت : (ملتفتا) ايها الأب . ألا تستطيع أن تمد نفوذك إلى الحاكم في موضوع دك الحصون ؟ وليس عندي شك في أنك تريد فض الأمر باعتبارك رجلا من رجال السلام .

جراندير : نعم انى أريد ذلك باعتبارى من رجال السلام . أما باعتباري من رجال المبادىء فانى اوثر أن تبقى اسوار المدينة قائمة .

اوباردمنت : اذن فالظاهر انى أقف وحدى فى هذا الموضوع . وإذا عدلت عن رأيك — وأنا شديد الرجاء فى ذلك — فسأعود الى اودان بعد بضعة أيام

(اوباردمنت ينصرف)

دار منياك : انظر اليه يا جراندير

جراندير : رجل صغير الحجم يثير الضحك

دار منياك : اننا جميعا ياصديقى العزيز خياليون . اننا نتصور ان الذى يغير حياتنا رسول مجنح يمتطى جوادا اسود . ولكنه فى اكثر الأحيان رجل رث صغير الحجم ، يتعثر فى الطريق .

(فى الدير . جان والاب منيون . وهو رجل عجوز غافل . يسيران معا)

جان : اننا جميعا جد سعداء أيها الأب منيون لقبولك . وانا نتطلع إلى أن نراك مديرنا لعدة سنوات مقبلة.

منيون : أنت كريمة جدا يابنيتي . انك تتصفين بالبساطة والصراحة اللذين يمسان قلب رجل عجوز مثلى .

جان : المشكلات كثيرة فى مكان مثل هذا . وسوف أحتاج إلى نصيحتك وإرشادك .

منيون : أنا تحت تصرفك دائما .

جان : ان كل الأخوات هنا مثلا شابات . واعتقد انك توافق على ان الشباب اكثر عرضة للاغراء من الشيخوخة .

منيون : هذا حق . اذكر عندما كنت شابا —

جان : وأنا نفسى —

منيون : ماذا تريدين أن تقولى ؟

جان : كنت أريد أن أقول أنى أنا نفسى عانيت منذ عهد قريب جدا من رؤى شيطانية .

منيون : ان من يعيش قريبا جداً من الله يقع للشيطان فريسة بالطبيعة . ولكنى لا أنزعج كثيرا بشأنها .

جان : استطيع أن أتحدث عن ذلك نهارا . أما فى المساء —

منيون : من الحقائق المعروفة ياعزيزتى أن الروح تكون فى أضعف حالاتها فى ساعات الفجر .

جان : وقد استطعت أن أقاوم الرؤى : بعد عدة ساعات من الصلاة عدت إلى نفسى . غير ان الزيارات —

منيون : أى زيارات ؟

جان : لقد أتانى بالليل سلفك الكاهن موسو . ووقف إلى جوار سريرى

منيون : ألم تكن هذه زيارة محبة يا بنيتى . لقد كان موسو رجلا طيبا وكنت مشغوفة به .
هل تحدث اليك ؟

جان : نعم

منيون : ماذا قال ؟

جان : كلاما قذرا

منيون : ما هو ؟

جان : كلام قذر . فحش من القول فيه سخرية ، وازدراء وإيذاء

منيون : أختى الحبيبة —

جان : لم يأتينى بشخصه

منيون : ماذا تعنين ؟

جان : جاءني شخصا آخر . رجلا آخر

منيون : وهل تعرفين هذا الرجل ؟

جان : نعم

منيون : من هو ؟

جان : جرانديير . الأب جرانديير

(صمت)

منيون : عزيزتي . هل تدركين خطورة ما تقولين ؟

جان : (هادئة) نعم . ساعدني يا ابي

(جرانديير فوق المنبر)

جرانديير : ان بعض الفجار يجوسون خلال المدينة ويتحدثون ضدى . وأنا أعرفهم . وأنتم تعرفونهم اذا قلت لكم ان الجراحة والصيدلة يسيران متكاتفين . يولدان الدود داخل السور . يقدمان شهادة زور . انهما يتجسسان . ويتسللان . ويضحكان فى سخرية . ولقد كان أول من أخطأ رجل اسمه آدم . وهو الذى تسبب فى القتل . لماذا يتابعان خطاى . لست عليلا !

ان كانوا هنا فى هذا المكان المقدس فليجابهونى
ويعلنوا كراهيتهم لى . ويقدموا لها الأسباب .
لست أخشى أن أتحدث صراحة عما يحاولون
كشفه سرا . ليقفوا أمامى ان كانوا فى هذه
الكنيسة . (صمت) كلا . انهم فى جحر تحت
الارض يحفرون لكى يخرجوا على سطح الأرض
مزيدا من السم يصيبوننا جميعا به. انهم يستقطرون
المرارة فى الأنابيب . فيكشفون عن الشهوة وعن
الحسد ، ويشقون الجروح بسن المبضع .

(وفى خلال ذلك يقترب دى لوباردمنت من
اثنين من المساعدين ويصغى ، ثم يتابع المسير)

أيها الأبناء . ما كان ينبغى لى أن أتحدث اليكم
من هذا المكان،وما كان ينبغى لى أن أتحدث اليكم
فى مرارة باعتبارى راعيا لكم.فهل هم يثيرون
فى نفسى الغضب ؟ يقول الرب ـ انهم يثيرون
أنفسهم حتى تضطرب وجوههم .

(الصيدلة . آدم ومانورى)

آدم : لقد جاوزت العاشرة . هل تتصور ذلك ؟

مانورى : دار بيننا حديث ممتع

آدم : وهل وصلنا إلى نقطة ما ؟

مانورى : ان أحدا بالباب

آدم : مستحيل

مانورى : انه موجود

(آدم يفتح الباب . يرى لوباردمنت واقفا)

آدم : اننا لا نؤدى عملا . اغلق الباب

لوباردمنت : اسمى جين دى مارتان ، بارون دى لوباردمنت. وأنا مندوب الملك الخاص الى لودان

آدم : هل استطيع أن أقدم اليك المساعدة ؟

لوباردمنت : ارجو ذلك

(يدخل لوباردمنت المحل)

لوباردمنت : انى فى زيارة للمدينة للقيام ببحث معين

مانورى : (فى حذر) كلانا رجل امين

لوباردمنت : اعلم ذلك.ومن أجل هذا قصدت هذا المكان . وكثيرا ما وجدت فى مثل هذه الحالات أنه ربما كان هناك فى المدينة رجلان لم يلحقهما الفساد . وهما فى العادة صديقان حميمان من

أرباب المهن ومن الطبقة الوسطى ، عصب
الأمة . اهتمامهما بالوطن شديد . محبان للبلاد .
فقدا ابناء فى الحروب . زواجهما سعيد .
يستطيعان ان يسدا لفقات العيش برغم الضرائب .
يعيشان حياة تقشف ولكنهما يحبان أن يكون
مالديهما جميلا .

هل اصبت القول ياسادتى

آدم : منتهى الصواب

لوباردمنت : حسنا . أريد أن تخبرانى بكل ماتعلمان عن رجل
اسمه جرانديير . الاب جرانديير الذى يتبع
كنيسة القديس بطرس .

آدم : وأخيرا ياصديقى مانورى !

(جرانديير وفيليب فى مكان منعزل)

فيليب : لابد أن أنصرف الآن .

جرانديير : نعم

فيليب : لا أحب أن أسير فى الطرقات ليلا . فالكلاب
تنبح . استمع ! انها تنبح الآن

جراندير : كم أود أن أرافقك . كنت أحب — اوه .
أين اللفظ . يعوزنى اللفظ .

فيليب : ماذا تريد ؟

جراندير : اقبلى . برفق . اريد أن أخبرك

فيليب : ماذا ؟

جراندير : تعلمين ان الغزل ———

فيليب : ماذا ؟

جراندير : أريد أن أخبرك يا فيليب أن بين الملابس الملقاه
على الأرض والملاءات الملطخة ، والدروس ،
والأجهزة ، والجراحة — بين هذا كله عاطفة
يحسها القلب

فيليب : أعرف ذلك . انه الحب . الحب البشرى

(صمت)

جراندير : هل هذا هو تفسيرك له ؟

فيليب : أظن ذلك

جراندير : هل أنا أحبك ؟

فيليب : أعتقد ذلك

حراندير : اذن أى نوع من أنواع الراحة استطيع أن أقدم اليك ؟

(صمت)

فيليب : انني فتاة ساذجة أرى العالم وأرى نفسى كما تعلمت . انا ممعنة فى الاثم ، ولكن حبى لله لم يتخل عنى . يقول «الناس» ان من يكون فى مثل موقفنا عليه أن يقابل ربه . واعتقد فى صدق ذلك . ولن أخشى أن أبوح بما فى نفسى لله وانت بجانبى ، حتى فى حالة ارتكابنا الخطيئة . لانى اعتقد أن الله طيب ، حكيم ، رءوف دائما .

(صمت)

جراندير : انك تخجلينني

(الصيدلية : دى لوباردمنت . مانورى . آدم وقد انضم اليهم الأب منيون)

منيون : لم أستطع أن أحصل على أكثر من ذلك من رئيسة الدير . ولا أستطيع أن أثبت شيئا .. وقد تكون مجرد امرأة هستيرية .

آدم : وهل يهم ذلك ؟

منيون : كم أود أن تكون هناك يامانورى باعتبارك جراحا ، وأنت يا آدم باعتبارك صيدليا .

لوباردمنت : وهل يمكننى أن أحضر باعتبارى طرفا محايدا .

منيون : بالتأكيد أن كان الأمر واقعا ، فكلما كثر عدد الحاضرين — (يتوقف)

لوباردمنت : هل كنت تريد أن تقول : كلما كثر عدد الحاضرين تضاعف المرح ؟

منيون : لقد بعثتُ برسالة إلى الأب بارى فى شينون . فهو خبيرنا المخلص العظيم فى مثل هذه الأمور .

مانورى : يسعدنى جدا أن أقدم اليكم المشورة الطبية يا أبى

آدم : وسوف ابدى الرأى فى أية ظواهر كيماوية أو بيولوجيه .

منيون : انها بالفعل تشكو تضخما فى بطنها مصحوبا بتقلصات عضلية حادة

آدم : مدهش !

مانورى : ليست هذه حالة شاذة . انه الاحساس بالحمل الكاذب . وقد عرفت ذلك من قبل . ولا شأن للشيطان فى ذلك . هل تهب الريح ؟

لوباردمنت : لا جدوى من التخمين . وعما قريب ينبلج الصباح .

(ساعة الفجر . جان تصلى إلى جوار فراشها البسيط)

جان : أدعوك يارب أن تجعلنى امرأة طاهرة . اللهم ارع أبى وأمى العزيزين ، وحافظ على كلبى كابتن الذى احبنى ولم يفهم لماذا تركته كل هذا الزمن الذى مضى ... الهى . انى أحب أن اؤدى لك صلاة رسمية . ولكنى لا أستطيع ذلك الا من الكتاب فى الكنيسة (صمت) . احبنى (صمت) احبنى. اللهم آمين .

(تنهض جان وتخرج من الغرفة الى مكان منطلق فسيح حيث يقف : دى لوباردمنت ومانورى وآدم ومنيون ورانجير وبارى وتقترب منهم جان)

بارى : دعونى أعالج هذه الحالة . عمى صباحا ايتها الاخت . هل أنت فى صحة جيدة ؟

جان : فى صحة جيدة جدا . اشكرك ايها الاب

بارى : حسنا جدا . اركعى

(جان تركع . ويتوجه اليها باري)

باري : (يصيح فجأة) هل انتم هنا (١) هل انتم هنا !
(صمت : ثم يوجه الخطاب الى الآخرين)
انهم لا يجيبون فى الحال اطلاقا . فهم يخشون
أن يلتزموا امرا . (الى جان) تعالى ، صرحى
بما فى نفسك . باسم سيدنا يسوع المسيح —
(تطرح جان رأسها الاعوج الى الوراء فجأة
ويخرج من فمها الفاغر المشوه موجات من
الضحك الذى يشبه ضحك الرجال) .

باري : (مطمئن النفس — الى الآخرين) انهم دائما
يلجأون الى هذه الحيلة .

جان : (فى صوت عميق كصوت الرجال) نحن هنا .
نحن هنا مقيمون

باري : سؤال واحد

جان : بوه

باري : لا تكونوا وقحين . سؤال واحد . كيف استطعتم
التسلل إلى هذه المرأة المسكينة ؟

---

(١) يخاطب الشياطين التى تسللت الى جان

جان : (فى صوت عميق) انها خدمات طيبة يقدمها صديق .

بارى : ما اسمه .

جان : اسموديوس (١)

بارى : هذا اسمك . ما اسم صديقك؟

(جان تترنح على ركبتيها :

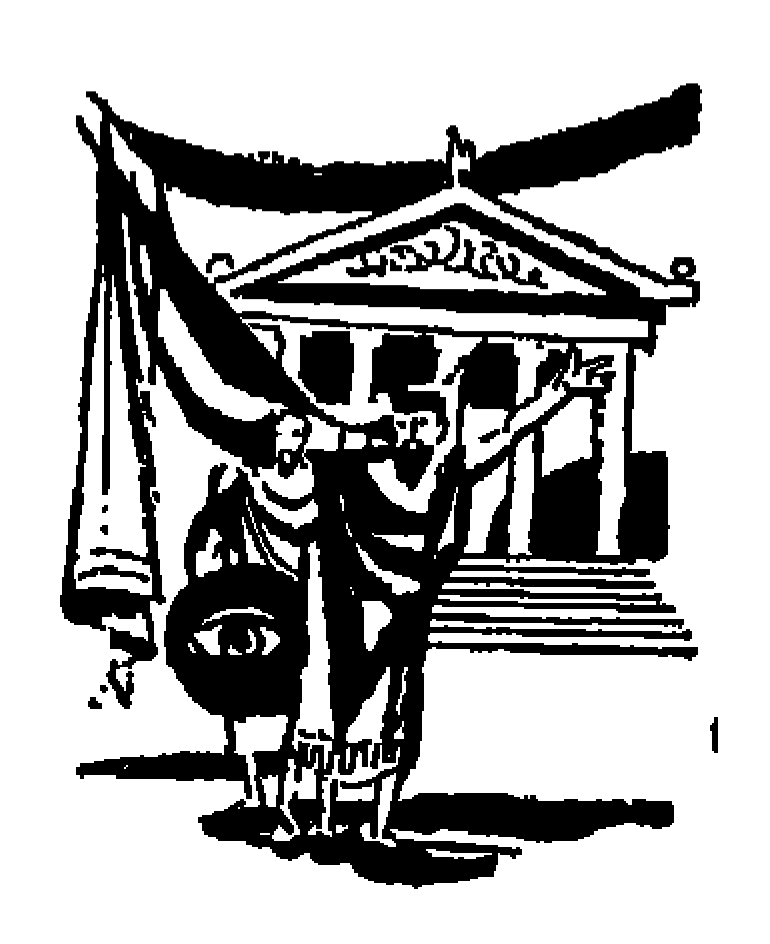
تصيح صيحات مختنقة ،

تتكون منها فى النهاية كلمة)

جان : جرانديير ! جرانديير ! جرانديير !

(ضحك عميق كئيب)

ستـــار



---

(١) اسم الشيطان الذى تتلبس به جان

الفصل الثانى

المكان : كنيسة القديس بطرس

الزمان : فى المساء

(يرى جراندير عند المذبح ، وفيليب جاثية عند قدميه
جراندير يرفع صينية ، ثم يقول :) .

جراندير :

Benedic, + Domine, hunc annuum, quem nos in tuo nomine benedicimus, + ut quae eum gestaverit, fidelitatem integram suo sponso tenens, in pace et voluntate tua permaneat, atque in mutua caritate semper vivat, Per Christum Dominum nostrum. (1)

فيليب : آمين

(جراندير يرش الماء المقدس على الخاتم ، ثم
يلتقط الخاتم من فوق الصينية ، يهبط ويجثو
إلى جوار فيليب)

جراندير : بهذا الخاتم ارتبط بك برباط الزواج . وهذا الذهب

---

(1) ومعناها بالعربية : بارك + ايها الرب هذا الخاتم الذى نباركه باسمك+ لكى تظل من تلبسه فى سلام مطيعة لارادتك مستمسكة بالعفة النقية لبعلها ولكى تعيش دائما فى محبة متبادلة .

وهذه الفضة اهبهما لك . وبجسدي أعبدك ، وبكل
ما عندى فى الدنيا من طيبات أمهرك .

(يضع جراندير الخاتم على إبهام فيليب قائلا)

جراندير : باسم الآب (ثم على الأصبع الآخر ويقول)
وباسم الابن (ثم على الأصبع الثالث ويقول)
وباسم الروح القدس (وأخيراً على الأصبع
الرابع ويقول) آمين

(وعلى هذا الإصبع يترك الخاتم)

(جراندير يعتلى سلم المذبح) .

جراندير : Confirma hoc, Deus, quod operatus es in nobis.

فيليب : A templo sancto tuo, quod est in Jerusalem

جراندير : Kyrie eleison

فيليب : Christe elesion

جراندير : Kyrie elesion (1)

(يتحدثان) Pater nostor (2)

---

(١) ومعنى ذلك بالعربية :
جراندير : ثبت ايها الرب هذا الذى منحته وأودعته فينا
فيليب : فى معبدك المقدس الذى يوجد فى أورشليم
جراندير : الرحمة ، أيها الرب
فيليب : الرحمة أيها المسيح
جرايدير : الرحمة ، ايها الرب

(٢) ابانا

(ثم ينخفض همس صوتيهما تدريجاً حتى الصمت)

في الشارع .

(يرى عامل المجارى جالساً على راحته . ممسكاً بقفص يحوى طائراً . جراندير وفيليب يقبلان من الكنيسة)

فيليب : يجب أن نخرج إلى ضوء الشمس . ويجب أن تدق الأجراس معلنة للعالم أمرنا . ولا يجب أن نكون في الليل . وفي مثل هذا الهدوء . يا الهى . قبلنى يا زوجى

(يتبادلان قبلة ثم يتدخل عامل المجارى)

العامل : وهكذا انتهى الأمر . انى رأيتكما تدخلان الكنيسة

جراندير : انتهى الأمر . وانتهى على خير . هل الطائر يغنى ؟

العامل : ليس فى قدرته . أنه بغير لسان

جراندير : هل تحمله حباً فيه ؟

العامل : لا يرد هذا الخاطر إلا على رجل طيب . أو على رجل فاقد الأمل . كلا . انني أحمله لكى يموت ، وأحيا . إنه مخلّص . من مخلصك ؟

جراندير : إنك —

العامـــل : أتريد أن تسبنى ؟

جراندير : نعم

العامـــل : آسف . هل تعرف الحفر التى تقع فى طرق المدينة ؟ حيث تبعث حتى محبوبتك هذه ما يملأ جرادلى ؟ فى بعض الأيام تنبعث من هذه الحفر السموم . ولذا فإنى اقترب منها دائماً ومعى هذا الطائر فوق عمود أمامى . ولقد مات الكثير قبل هذا الطائر من رائحة الأبخرة العفنة . فإذا حدث هذا عرفت أن المكان لا يلائمنى . ولذا فإنى أطلق المجارى تنصرف يوماً أو يومين وأنفق الوقت فى صيد فريسة أخري أحبسها هنا . انك تفهم ما أعنى

(صمت)

جراندير : لقد وضعت ثقتى فى هذه البنية . وهى ليست فريسة .

العامـــل : الأمر كما قلت .

جراندير : استمع إلىّ . حتى فى هذه الساعة اليائسة لابد أن تعترف بأن ما يدور بين الكائنات البشرية هو أكثر من تلك الحركات التى تمدك كما تمد المغاسل بالعمل .

العامـــل : لست أجادل .

جراندير : هناك طريق للخلاص يجده كل منا في الآخر .

العامل : هل أنت تحاول أن تقنعني ؟

جراندير : أود ذلك .

العامـــل : وما حكايتك ؟ هل هذا الحفل الصغير الذى أقمته هناك أمدك بهذه الحيلة ؟

جراندير : لقد أمدني بالأمل .

العامـــل : الأمل في أى شيء ؟

جراندير : الأمل في أن أصل إلى الله عن طريق مخلوق . الأمل في أن الطريق – التي يسير فيها المرء وحيداً فتكون طريق اليأس – يمكن أن تضاء بحب امرأة . ولقد آمنت بأنه يمكنني بهذا العمل اليسير الذى ألزمت به نفسي ، والذى قمت به من كل قلبي ، أن أصل إلى الله عن طريق السعادة .

العامـــل : ما هي هذه الكلمة الأخيرة التي نطقت بها ؟

جراندير : السعادة .

العامـــل : لا أعرف لها معنى . لابد أنك صغتها لهذه المناسبة . لقد بدت تباشير الصباح .

فيليب : لابد أن أنصرف .

العامل : نعم . ويجب أن يجدوا الفراش خالياً . كما يجب ألا يجدوه مليئاً أكثر مما ينبغى .

فيليب : (إلى جراندير) حدثنى .

العامل : قلها .

جراندير : أحبك يا فيليب .

(فيليب تنصرف)

العامل : بمناسبة الحديث عن الحب . إن أموراً عجيبة جداً تحدث فى دير الراهبات .

جراندير : هكذا قيل لى .

العامل : الظاهر أن هؤلاء السيدات المجنونات يلوحن باسمك

جراندير : يجب أن نشفق عليهن .

العامل : وهل يشفقن عليك . هذا هو السؤال ؟

جراندير : ماذا تعنى ؟ ابهن مخدوعات

العامل : فى أى حال كنت — منذ بضع لحظات — مع هذه الفتاة ؟

جراندير : كنت سليم العقل ، وكنت على علم بما كنت أفعل . قد تسخر منى يا بنى ، ان شئت — إلا ان ما قد يبدو لك عملا لا مغنى له ، أعنى زواج قسيس

لا يصح له الزواج ، له عندى معنى . ان المنفردين والمتكبرين يحتاجون أحياناً إلى الإفادة من بعض الوسائل البسيطة . وأنا كذلك قد لهوت بالبريئات قبل اليوم . ان حطة مقامك قد رفعتك إلى مكانة عالية غير مقدسة . فمن هذا المستوى المرتفع كن رحيما عاقلا ، واشفق بى ، اشفق بى .

العامـــل : لنكن ذلك . وأرجو أن يشفق بك كذلك النساء الطيبات فى بيت القديس أرسولا .

النهار

(جان على ركبتيها . بارى ورانجير ، ومنيون يواجهونها) .

بارى :

Exorcise te, immundisime spititus, omnis incursio adversarii, omne phantasma, omins legio, in nomine Domini nostri Jesus Christi, eradicare et effugare ab hoc plosmate Dei. (١)

(رانجير ومنيون يتقدمان . رانجير يرش الماء المقدس. ومنيون يعد الرداء المقدس. اسموديوس (٢) فى صوت عميق يتكلم على لسان جان)

(١) ومعناها بالعربية : ابتعدى ، ايتها الروح النجسة ويا ايها الاعداء المهاجمون كافة ويا كل طيف ويا جمهرة الخلائق قاطبة ، باسم سيدنا عيسى المسيح فلتستأصلك ولتطاردك هذه الطلعة الربانية .

(٢) الشيطان الذى يلبس جان .

اسموديوس : انكم تضيعون وقتكم أيها السادة . انكم تبللون السيدة ، ولكنكم لاتمسونى .

بارى : (إلى مينون) أعطنى هذا الأثر .

(مينون يسلم بارى صندوقاً صغيراً يوضع على ظهر جان)

Adjure te, serpens antique, per judisem vivorum et mortuorum... (١)

اسموديوس : عفواً

بارى : ... per factorum tuun, per factorum mundi... (٢)

اسموديوس : يؤسفنى أن أقاطعك

بارى : ماذا تريد أن تقول ؟

اسموديوس : لست أفهم كلمة مما تقول . أنا شيطان كافر بالله . هذه اللاتينية — وأظن أنك تتحدث بها — لغة أجنبية بالنسبة إلى .

بارى : العادة أن نقوم بإخراج الشيطان باللاتينية .

---

(١) أتضرع اليك ايتها العجوز ، بسلطان قاضى الاحياء والاموات

(٢) بسلطان خالقك ، بسلطان خالق الكون

اسموديوس : أنك ضيق العقل . ألا يمكن أن نستمر فى حديثنا السابق . الذى شاقنى كثيراً ، عن النشاط الجنسى للقساوسة ؟

بارى : لا يمكن بالتأكيد .

اسموديوس : هل صحيح أن الرجال فى ابرشيتك ... (ضحكات جنونية) ... هل صحيح أنهم ينحنون (١) . دعنى اهمس .

جان : يا الهى ! اخرج هذا الشىء منى .

اسموديوس : صه ، أيتها المرأة إنك تعترضين مناقشة دينية .

جان : أبى ، ساعدنى .

بارى : بنيتى ، إنى أفعل كل ما أستطيع .

(بارى ينتحى جانباً مع رانجير ومنيون . ويوجه بارى الحديث إلى رانجير)

بارى : ان الملعون يعتقد أنى هزمت .

اسموديوس : انت مهزوم .

بارى : يظهر أنه يكمن فى هذه اللحظة فى المصران الأسفل . هل آدم ومانورى هنا ؟

---

(١) اشارة الى الشذوذ الجنسى .

رانجير : أنهما فى الانتظار . هنا فى الداخل .

باري : أرجو أن تطلب إليهما أن يستعدا وقدّس الماء فى خلال ذلك .

(يخرج رانجير من خلال الباب الصغير المنخفض. ويلتفت بارى إلى جان)

بارى : أختى العزيزة ، لابد من اجراء عنيف .

جان : ماذا تعنى يا أبى ؟

بارى : لابد من اخراج الشيطان منك بالقوة .

جان : هل هناك طريق آخر غير عملية إخراج الشيطان ؟

بارى : ها ها . يقولون إن الشيطان لا يسكن إلا فى الأبرياء . ويبدو أن هذا القول صدق فى هذه الحالة ، نعم يا بنتى ، هناك طريق آخر . (يصيح) هل تسمعنى يا اسموديوس ؟

اسموديوس : (هل هو صوت جان ؟) الرحمة ، الرحمة

بارى : (يصيح) كلام فارغ .

(صمت)

رانجير يخرج من الحجرة الداخلية)

بارى : انك تبدو شاحب اللون جداً يا ولدى . إن استخدام أمثال هذه الطرق فى وظيفتنا يغمك . انتظر حتى

تمارسها بمقدار ما مارستها . مهما يكن من أمر ، لابد أن تساير الكنيسة الزمان . (إلى جان) تعالى يا أختى العزيزة من خلال هذا الباب الضيق: هنا يكون خلاصك . إنها تبدو كالطفلة ، أليس كذلك ؟ ومنظرها يؤثر فى الشعور . أو ... م . تقدمى . هيا . حسناً . حسناً . بضع خطوات أخرى.

(جان تتقدم نحو الباب الضيق)

لتوجهك قوة الخير . لا تتقدمى كثيراً بعد هذا . كفى .

(جان تقف بالباب تحدق فى الحجرة الصغيرة المظلمة — ثم ترى وهى تناضل بين يدى بارى ، وكأنها حيوان يعوى .)

باری : (فى قوة وفى وثوق) ساعدنى يا رانجير

(يتقدم رانجير نحو بارى ، ويمسكان المرأة معاً)

جان : كلا ، كلا ، إنى لم أقصد ذلك .

باری : فات الأوان يا اسموديوس . هل تنتظر الرحمة الآن ، بعد سبابك وألفاظك القذرة فى حق الله ؟

جان : أبى . أبى بارى . أنا التى أكلمك الآن ، الأخت جان التى تنتمى إلى الملائكة (١)

(١) ذلك معنى اسمها ديزانج

باری : أی اسموديوس ، نقد تحدثت بأصوات عديدة .

جان : بل هي أنا يا أبي . أنا الأم المحبوبة في هذا الدير العزيز ، حامية الأطفال الصغار .

باری : صه أيها الحيوان ! دعنا ندخلها هنا يا رانجير . هل أنت مستعد يا آدم ؟

آدم : (من الداخل) على أتم استعداد .

(باری ورانجير يحملان المرأة المناضلة إلى الغرفة . ويغلق الباب محدثاً صوتاً . ويبقى منيون وحيداً وهو يجثو على ركبته ويشرع في الصلاة . تصدر عن جان صيحة من داخل الغرفة . ثم تتحول الصيحة إلى نحيب وضحك . فيعلو صوت منيون في الصلاة . صوته فارغ ، منفعل ، ضعيف ، يصعد ثم يتلاشى)

يتحرك إلى المقدمة دارمنياك ودی سيريزای وجرانديير)

دی سیریزای : الظاهر أن الشيطان قد خرج من المرأة في تمام الساعة الثانية .

دارمنياك : وماذا تم بشأن الأخريات ؟

دى سريزاى : إن الآباء منشغلون الآن بهن .

دارمنياك : بنفس الطريقة ؟

دى سريزاى : كلا . يظهر أن هناك طرقاً أخرى طبيعية لإخراج الشيطان قد أثبتت نجاحاً بعد الرئيسة . قليل من الماء المقدس — يستعمل من الظاهر — وبضع دعوات ، ثم تنصرف الشياطين .

دارمنياك : نرجو إذن أن يسود الهدوء .

دى سريزاى : لست أدرى .

دارمنياك : ألا تستطيع القيام بشيء لو عاد الأمر ؟ باعتبارك قاضياً . من رأيي أن هذا السلوك نوع من أنواع الإخلال بالنظام .

دى سريزاى : لقد قابلت بارى ورانجير منذ أيام وسألتهما عن شرعية الوسائل التى لجأوا إليها فأغلق باب الدير بعد ذلك فى وجهى . اننى أوقع نفسى فى مركز حرج ان أنا استخدمت القوة ضد القسيس . وقد طلبا إلىّ أن أحضر مساءلة الأختجان . وأنا فى طريقى إلى هناك الآن .

دارمنياك : (إلى جراندير) هل تعلم ان أسمك يقحم دائماً فى هذا الموضوع ؟

جرانديير : نعم أعلم ذلك .

دارمنياك : أليس من الخير أن تتخذ خطوات لتبرىء نفسك ؟

دى سيريزاى : هل أسأت إلى هذه المرأة بأية وسيلة ؟

جرانديير : لست أدرى كيف يكون ذلك ممكناً . إذ أننى لم أرها قط .

دى سيريزاى : إذن فلماذا آثرت أن تقول إنك الحافز الشيطانى لها ؟

جرانديير : إنك تبدو خائفاً يا سيريزاى . سامحنى .

دارمنياك : إنما أنت الذى ينبغى أن تخاف ، أيها الأب . كانت هناك قضية منذ بضع سنوات — اننى لا أذكر اسمه —

جرانديير : أنا أذكره ، ذلك الشيطان المسكين . وقد كانت هناك عدة قضايا ياسيدى .

دارمنياك : انت فى خطر

جرانديير : من الموت ؟ ولكن لن يكون ذلك بالتاكيد على أساس قصة سخيفة كالتى تروى فى الدير . إن الموت يا سيدى يجب أن يكون أعظم من ذلك . وأكثر دلالة ، لرجل من شاكلتى .

دارمنياك : كيف انتهت حياة أولئك الرجال الآخرين ؟

جرانديير : شدوهم إلى قوائم خشبية وأحرقوهم . ولكنهم كانوا رجالا مغمورين يثيرون السخرية . كانوا مادة تستحق هذه التضحية . وذلك كل ما فى الأمر

دى سريزاى : سأقدم لك أنا ودارمنياك كل ما نستطيع من معونة أيها الأب .

جرانديير : هل أستطيع أن أتحدث إلى أحدكما فى هذا الأمر بصراحة ؟ عندما قدمت إلى هنا هذا الصباح سمعت القصص تحكى فى الطرقات العامة . فضحكت . وظننت أنكما تضحكان كذلك . هل من الحق أن الشيطان يلبسها ؟

دى سريزاى : لا يستدل على ذلك مما شهدت . وسوف أرى المرأة اليوم كما قلت لكم . وسأخبركم بما يحدث . ولكنك لم تجب عن سؤالى لماذا آثرتك أنت ؟

جرانديير : النساء المعتزلات يهبن أنفسهن لله . ولكن يبقى فى نفوسهن شىء يلح فى أن يوهب للرجل . ومن الممكن أن تهبه من طهرت قلوبهن حقاً على شكل صدقة . أما مع ضعاف القلوب فالأمر ليس بهذه السهولة . والأمر يدعو إلى الأسى . وهو مؤسف جداً فى الحقيقة إذا تدبرته . تصور أن تتيقظ بالليل

بحلم برىء جداً . حلم عن طفولتك أو عن صديق
لم تره منذ سنوات ، أو عن مرأى وجبة طبية .
هذه خطيئة . ولذا فعليك أن تتناول سوطك
الصغير وتضرب به جسدك . وهذا هو مانسميه
تدريب النفس . ولكن الألم نوع من الحس ، وفى
دوامته ، تدور صور من الفزع والشهوة .
والظاهر أن أختى المحبوبة فى يسوع قد ركزت
عقلها فىّ . وليس لذلك سبب ياسيريزاى . منديل
يسقط ، أو مذكرة تسطر ، أو لغط يدور على
الألسن . ان أياً من هذه الأشياء يوجد فى بيداء
الجسم والعقل بسبب الدعاء المستمر يبعث الأمل .
ومع الأمل يأتى الحب . ومع الحب — كما نعلم
جميعاً — تأتى الكراهية . وهكذا فإنى أملك على
هذه المرأة نفسها . اللهم ساعدها فى فزعها وشقاوتها.
اللهم ساعدها .

(إلى دارمنياك) ولنتحدث الآن ياسيدى فى الأمر
الذى من أجله أتيت . عندى الرسوم الجديدة
لبيتك الصغير . فهل تأتى لمشاهدتها ؟ وقد راجعت
وعدلت التصميم وجعلته خلواً من كل تافه .
كما شئت .

(جراندير ودارمنياك ينصرفان . ويحدق فيهما سيريزاى لحظة ، ثم يتحرك ليدخل —)

(غرفة مرتفعة السقف مؤثثة بسريرين صغيرين . تشغل جان أحدهما . وبارى ورانجير ومنيون حاضرون . وكذلك آدم ومانورى . ويرى كاتب يقوم بالتسجيل) .

باري : لابد من أسئلة أخرى أوجهها إليك يا أختى العزيزة فى المسيح .

جان : وما تلك يا أبى .

باري : هل تذكرين أول مرة اتجهت فيها أفكارك إلى هذه الرذائل ؟

جان : أذكر ذلك جيداً .

باري : خبرينـــا

جـــان : كنت أسير فى الحديقة . ثم توقفت . وقد شهدت ملقى عند قدمى عود عضاة فتملكنى غضب آثم لأنى فى ذلك الصباح عينه كان عندى مادعانى إلى إنذار أختين لإهمالهما واجباتهما فى الحديقة . والتقطت هذا العود النابى غاضبة . ولابد أنه كان

شائكاً لأن الدم تدفق من جسدى . ولما شهدت الدم امتلأت نفسى رقة .

رانجير : ولكن هذا الايحاء ربما نشأ عن مصدر آخر .

بارى : ومع ذلك — (ينظر إلى الكاتب) هل أنت تسجل ذلك ؟

جان : كانت هناك مناسبة أخرى .

بارى : خبرينا

جـــان : انقضى بعد ذلك يوم أو يومان . وكان صباحاً جميلا . بعد ماقضيت ليلة من النوم الذى لم يراودنى فيه حلم . وعلى عتبة غرفتى وجدت باقة من الورد. التقطت الورود وشبكتها فى حزامى . وفجأة شعرت بهزة عنيفة فى ذراعى اليمنى . واستولت علىّ معرفة عميقة بالحب . الحت على خلال صلواتى وتعذر على أن أركز عقلى فى أى شيء ، فقد امتلأكله بصورة رجل انطبعت فى نفسى انطباعاً باطنياً عميقاً .

بارى : هل تعرفين من بعث بتلك الزهور ؟

جان : (بعد صمت طويل ، وفى هدوء) جراندير ، جراندير

باری : ما وظيفته ؟

جان : قسيس

باری : من أية كنيسة ؟

جان : كنيسة القديس بطرس .

(يلتفت باری ليحدق فی دی سيرايزای فی صمت) .

دی سيريزای : (فی هدوء) هذا لاشیء .

(باری يلتفت ثانية إلى جان) .

باری : هذا لا يقنعنا يا أختی العزيزة . وإذا بقينا كذلك بغير اقتناع فلست بحاجة إلى أن أذكرك أنك ستواجهين اللعنة إلى الأبد .

(جان ترتمی فجأة على السرير وتنهق كالخنزير الصغير — اسنانها تصطلك وتعبث بنظام السرير المرتب . ويتراجع الرجال عنها. ثم تعتدل فی جلستها وتحدق فيهم) .

باری : (فی عجلة شديدة) تكلمی .. تكلمی

جان : حل .... المساء .... وغربت شمس النهار

باری : ثم ماذا ؟

جـــان : وعقدت شعری إلى الخلف . ومسحت وجهی .

عدت إلى طفولتى ، ايه ؟ مسكينة يا جان .
أصبحت امرأة نامية . خلقت لـ .... لـ ...

باری : استمری

جـــان : ثم أتانى

باری : سمّه

جـــان : (فى الحال) جراندير . جراندير . دخل الليث الجميل الذهبي غرفتى باسماً .

باری : وهل كان وحيداً ؟

جـــان : كلا ، كان معه ست من مخلوقاته .

باری : ثم ماذا ؟

جـــان : ضمنى فى رفق بين ذراعيه وحملنى إلى المعبد . وأخذ كل واحد من مخلوقاته إحدى أخواتى المحبوبات .

باری : ثم ماذا حدث ؟

جـــان : (باسمة) أوه . تصور معبدنا الصغير ، على بساطته وخلوه من الزينة . لقد كان فى تلك الليلة مكاناً للترف والحرارة المعطرة . دعنى أخبركم . لقد امتلأ بالضحك والموسيقى. وكان فيه المخمل ، والحرير ،والمعادن، وخشب أرضه لم يكن ممسوحاً.

لم يكن البته نظيفاً . نعم وكان هناك طعام . لحم
حيوانى عظيم ونبيذ ، ثقيل ، كفاكهة الشرق .
وكنت قرأت عن ذلك كله . وقد اتخمنا أنفسنا إلى
درجة قصوى .

دى سيريزاى : إنما هذه صورة ساذجة للجحيم .

بارى : أوش . استمرى .

جان : لقد نسيت . كنا فى أزياء جميلة . وكان ردائى
علىّ كأنه جزء من جسدى . وأخيراً لما تعريت
وقعت بين الأشواك . نعم كانت الأشواك منتثرة
فوق الأرض . ووقعت بينها . تعالَ إلى (تشير
إلى بارى الذى ينحنى نحوها وتهمس ثم تضحك)

بارى : (مكتئباً) تقول إنها واخواتها قد أرغمن على أن
يكوّن من أنفسهن مذبحاً فاحشاً . وقد توجهوا
إليهن بالعبادة .

جـــان : مرة ثانية .
(تهمس مرة ثانية ، ثم تضحك)

بارى : تقول إن الجن كانت ترعى جرانديير ، وان
اخواتها المحبوبات كن يغوينها . إنكم تفهمون
ما أعنى أيها السادة .

(جان تجذب بارى إليها مرة أخرى . وتهمس في خبل وتصبح كلماتها مسموعة بالتدريج)

جـــان : .... وهكذا قهرنا الله من عقر داره. وفر مفزوعاً من الاحساسات التي أودعتها في الرجال يد أخرى. ولما تحررنا منه ، احتفلنا برحيله مرة أخرى . (ترتمى على ظهرها) إن الله — بالنسبة إلى شخص عرف ما عرفت — قد انتهى — وقد وجدت راحة النفس .

(صمت . منيون يخر على ركبتيه ويصلى . ويمسك باري دى سيزيزاى من ذراعه . ويبتعدان عن جان والآخرين وهما يتكلمان) .

بارى : كانت امرأة بريئة .

دى سيريزاى : إنه لم يكن الشيطان . فقد كانت تتكلم بصوتها . وهو صوت امرأة بائسة . وهذا هو كل ما في الأمر .

بارى : ولكنها لجأت إلى الخيال المنحط واللغة القذرة في اعترافات أخرى . ولا يمكن أن يصدر ذلك عن امرأة من نساء الدير بغير عون . إنها تلميذة .

دى سيريزاى : لجراندير ؟

باری : نعم له

دی سیریزای : ولكن الرجل يقسم أنه لم يزر المكان قط من قبل .

باری : لم يزرها بشخصه .

دی سیریزای : لابد من وسيلة نثبت بها ما تقول . هل تسمح ارجالى بدخول البيت ؟ إنهم سيقومون بالمباحث على مستوى رجال الشرطة .

باری : هل تريد الاثبات ؟ ذكر ثلاث من الأخوات إنهن مارسن الاتصال بالجن وفقدن بكارتهن . وقد فحصهن مانورى . ولم يجد واحدة منهن بكراً.

دی سیریزای : أبي العزيز . لست أريد أن أسيء إلى احساسك ، ولكنا جميعاً نعلم الاتصال العاطفى الذى يتم بين الشابات فى هذه الأماكن (١) .

باری : أنت لا تريد أن تقتنع .

دي سيريزاى : بل أريد . وبكل شدة . أن أقتنع بهذا أو بذاك

(دى سيريزاى ينصرف . باري يتلفت . ومانورى وآدم يقتربان) .

آدم : ماذا جرى ؟

مانورى : أمور تفتن البصر .

---

(١) اشارة الى السحاق

آدم : غير عادية .

مانوری : يجب أن أقول ذلك . لا يمكن أن يكون الجحيم مملا كما يصوره بعض الناس . ها ها . ماذا ترى ؟

آدم : هذه الأمور !

مانوری : أقول لك الحق إنى أعتقد أننا لو عالجنا هذه القضية فى كتاب خاص نطبعه وجدنا له سوقاً رائجة . هل نكتب هذا الكتاب ؟

آدم : دعنا نفعل ذلك .

(يقتربان من بارى) .

بارى : هل فحصتها ؟

مانوری : نعم ، وسأقدم لك تقريرى فيما بعد .

بارى : هل يمكنك حتى آنئذ أن تذكر لى شيئاً يعيننى على المضى ؟

مانوری : إننى كرجل صاحب مهنة —

آدم : إنه يتحدث عنى .

مانوری : لا أريد أن التزم بشىء

بارى : حتى —

مانوری : حسناً . دعنى أقول لك ذلك . كانت هناك أمور تدور فى الخفاء .

باری : لا تخفف اللفظ . كانت هناك فاحشة .

مانوری : ذلك أقرب ما تكون .

باری : الشهوة . لقد نالوا منها .

آدم : أظن ذلك .

باری : شكراً سيدى . ذلك كل ما أريد . أنظروا .

(يسود الصمت . جرانديير يسير على مبعدة . ينصرف باری ومانوری وآدم . جرانديير يقترب . تهرع إليه فيليب) .

فيليب : قالوا إنك كنت فى بيت الحاكم .

جرانديير : إننى قادم من هناك لتوى . ما الأمر ؟

فيليب : أريد أن أعرف . هل كنت قلقة فى الليلة الماضية ؟ كان لابد لى أن أتركك قبل أن تشرق شمس الصباح . وقد انصرفت فى هدوء بقدر ما استطعت . فهل أزعجتك ؟ يهمنى أن أعرف .

جرانديير : لست أذكر . لماذا يهمك ذلك ؟

فيليب : إنك لاتذكر .

(تضحك ضحكة مفاجئة مذهلة جافة) .

جرانديير : سيرى معى إلى الكنيسة .

فيليب : لا

جراندير : حسناً جداً .

فيليب : ليست بى حاجة إلى كرسى الاعتراف لأقول ما أريد أن أنبئك به . إنى حامل

(صمت)

جراندير : هكذا انتهى الأمر .

فيليب : أنا مذعورة .

جراندير : بالطبع . كيف يكون لى طفل ؟

فيليب : أنا مذعورة جداً .

جراندير : كانت فى حبنا جرأة شديدة ، أليس كذلك يا فيليب ؟ فى خلال ليالى الصيف جميعاً . لشد ما كان بعدنا عن الخوف فى كل مرة اختلطنا معاً . كنا نضحك ونحن نثير فى أنفسنا الروح الحيوانى . هل تذكرين ؟ والآن يلتهمنا هذا الحيوان !

فيليب : أعنى .

جراندير : وكان كل منا خلاصا للآخر . هل كنت حقاً أعتقد فى إمكان ذلك ؟

فيليب : إننى أحبك .

جراندير : نعم لقد آمنت بذلك . وأذكر أننى تركتك ذات يوم — وكنت بارعة بدرجة غير عادية —

فيليب : يا إلهى !

جراندير : وقد امتلأتُ بتلك الثقة البذيئة التى تعقب الوصال الكامل— وطرأ لى وأنا منصرف — نعم طرأ لى وأنا فى وقارى — إن الجسم يمكن أن يجاوز الغرض منه . يمكن أن يبلغ من الطهر ما يجعله معبوداً إلى أقصى حدود الخيال . كل شىء جائز . وكل شىء حق. ومثل هذا الكمال يؤدى إلى فهم حالة الوجود الممقوته .

فيليب : لامسنى

جراندير : ولكن إلى اى شىء صار الجسم ؟ هل هو كالبيضة . هل امسى مصدرا للملل وللنفور والاشمئزاز . الى هذا انتهى

فيليب : واين الحب ؟

جراندير : نعم ، اين هو ؟ اذهبى الى ابيك . اخبريه بالحقيقة . ودعيه يجد لك رجلا طيبا . انهم موجودون .

فيليب : اعنىّ

جراندير : كيف استطيع معونتك ؟ خذى يدى . هذه هى . كأنك تمسين ميتا . اليس كذلك ؟ رافقتك السلامة يا فيليب .

(جراندير ينصرف)

(الصيدلية ــ آدم ومانوري والاب منيون

الاب باري يصيح صيحة جافة وهو يظهر في اعلى السلم . يقبل وكانه مخمور ويتفرق الاخرون مذعورين)

باري : منعوني من دخول الدير هذا المساء . منعني حراس مسلحون

منيون : يا الهي ، يا الهي ، ماذا جري ؟

باري : اصدر كبير الاساقفة امرا شرعيا يحرم اخراج الشياطين ويحرم التحرى بعد اليوم .

منيون : اطلاقا !

باري : فعل ذلك استجابة لرجاء دى سيريزاي ودارمنياك . وما هو ادهى من ذلك ان الطبيب الخاص لكبير الاساقفة ــ ذلك الرجل الاحمق الذى يؤمن بحكم العقل ــ استولى على النساء بغير علمي . فحصهن ، وابدى رأيه بانه ليس هناك تلبس حقيقى

منيون : وماذا عسانا فاعلون ؟ عجبا . ماذا عسانا فاعلون ؟

(باري يهبط إلى الغرفة)

باري : يرى دي سيريزاي ذلك عملا من اعمال العدالة . وهو لا يدرك ان امثال هذه الامور تقع مباشرة فى ايدى الشيطان . فانك ان ساورك شك معقول فى ارتكاب خطيئة انسانية ، خف الشيطان إلى الاغواء . (يصيح مكدودا) لا يمكن ان يكون فى ارتكاب الاثم شك معقول . اما كل شيء او لا شيء

منيون : طبعا ! طبعا ! ليس للعدالة شأن بالخلاص . اجلس . اجلس .

باري : أن عمل حياتى يهدده اسقف كبير فاسد ، وطبيب متحرر ، وقانونى جاهل .
آه ايها السادة . سوف يسعد الجحيم هذه الليلة .

(صمت)

مانورى : هل قضى علينا اذن ؟

آدم : يظهر ذلك

مانوري : انتهى كل شيء

آدم : رباه

مانوری : یا للاسف

منيون : دعنا نصلى

آدم : ماذا قلت ؟

منيون : دعنا نصلى

آدم : من اجل ماذا ؟

منيون : دعني افكر —

آدم : اقد اصبت

منيون : اعرف ذلك

آدم : ثم ماذا ؟

منيون : دعنا ندعو الله ان يصيب كبير الاساقفة برؤيا شيطانية —

باري : (لمانوري) سوف اعود إلى أبرشيتي

منيون : (لآدم) .... رؤيا شيطانية مفزعة ....

باری : (لمانوری) عندي عمل هناك

منيون : (لآدم) وهو كذلك رجل عجوز . ربما استطعنا ان نروعه حتى يموت.

باری : الزم الصمت يا منيون . انما انت تهذی

منيون : لا تتدخل عنا

باري : لا مناص من ذلك

منيون : من الطبيعي ان تضايقك هذه النكسة . ولكننا سوف نجد منها مخرجا .

باري : كلا . فان امر كبير الاساقفة يجعل الشر مستحيلا في هذا المكان في الوقت الحاضر . ولكن الامر لا ينطبق في ابرشيتي ، وثق ان الشيطان يدق الطبول هناك داعيا . ولابد ان اجيب الدعوة

منيون : سوف نفتقدك كثيرا جدا .

باري : ان همسة واحدة من الجحيم تردني اليكم يا صديقي العزيز

(دارمنياك وسريزاي على المائدة . يقترب منهما جرانديير بشكل رسمي)

جرانديير : اعتقد انه لابد لي من ان اشكرك يا سريزاي لانك عملت على ايقاف هذا الاضطهاد . انني افعل ذلك الآن .

دي سريزاي : فعلت ذلك نيابة عنك ايها الاب . غير اني لم افعله من أجلك وحدك . ان السرك المقام في الدير قد بدأ يجتذب في المدينة قدرا كبيرا من الانتباه الذي لا نرحب به . ومن واجبي ان احتفظ بشيء من النظام في المكان .

دارمنياك : انك لا تسهل الامور لاصدقائك يا جرانديو .
لقد اخبرني ترنسانت بقصة ابنته . عندك العاهرات . لماذا فعلت ذلك ؟

جرانديو : كان ذلك احدى الطرق

دارمنياك : الطرق إلى ماذا ؟

جرانديو : كل امور الدنيا لها غرض واحد لرجل مثلى .
السياسة ، والسلطة ، والحواس ، والثراء ، والفخر ، والنفوذ ، انني انتقى منها بنفس العناية التي تنتقى بها أنت يا سيدي سلاحك . ولكن هدفي مختلف . انني اريد أن اصوبه إلى نفسي .

دارمنياك : لكي تجهز على نفسك ؟

جرانديو : فاني في حاجة شديدة إلى الاتحاد بالله . ان العيش قد اعتصر مني الحاجة إلى الحياة . وقد آلت قدرة الحواس عندي إلى الانهاك المطلق . انما انا رجل ميت مرغم على العيش .

دارمنياك : انك تنفرني . انما هذا مرض .

جرانديو : كلا يا سيدي انما هو المعنى والغرض

دارمنياك : لست ممن يجادلون بسفسطة . ولكن قل لي : انني

اری آن القضاء علی النفس بشكل قاطع ظاهر
ليس من الامور المجللة . ولكن اليس خلق
ظروف موتك — وهو ما تفعل انت فيما يظهر —
كذلك من الإثم ؟

جزانديو : اترك لى شيئا من الامل

دارمنياك : الامل فى ان يبتسم الله من جهودك فى خلق عدو
يبلغ به الشر ان ينزلك ، ومن ثم يرفعك — إلى
اعلى ؟

جرانديو : نعم

دارمنياك : بين يدى خطاب من باريس . انه يسعدك . انك
فى تأييدك لموقفى فيما يتعلق بالحصون خلقت
عدوا ممتازا . ريشيليو . ان الملك يقف حتى الآن
إلى جانبى ضد الكاردينال . ولكن الملك لو
فشل أو تردد انهارت هذه المدينة . وربما حققتَ
امنيتك لانك مشتبك فى الامر اشتباكا عميقا .
ولكنى — برغم ذلك — سوف استمر فى
حمايتك مما اعتقد انه طريق مروع جدا ،
وفلسفة جد كافرة .

جرانديو : هذا ما ابغى يا سيدى . لا تكف يدك عنى .

فكر فى حقيقة الأمر. انى ابلغ نهاية نهار طويل. اشعر بالدفء والشبع ، والاطمئنان . واقصد بيتى . وفى طريقى المح غريبا فى الجانب الآخر من الشارع ، وربما كان طفلا . واحيي صديقا . وارقد متطلعا إلى وجه امرأة نائمة . انى ارى هذه الاشياء فى عجب وفى أمل . ثم اسأل نفسى . هل يمكن ان يكون ذلك هو الوسيلة إلى غايتى ؟ بيد أن ذلك يُنكر علىّ .

(يخفى جرانديير فجأة وجهه بين راحتيه)

يا الهى ! يا الهى ! ان كل شيء يخيب رجائى

دارمنياك : هل انت خائف يا جرانديير ؟

جرانديير : نعم ، نعم ، نعم . انا مخذول

(حديقة الدير . جان و كلير تجلسان على دكة . لويز وجبرائيل على الارض عند قدميهما اختان مجهولتان تقفان قريبا . صمت رهيب)

لويز : ماذا عسانا فاعلون يا أمى ؟

جان : فاعلون ؟

لويز : ان الناس يسحبون اطفالهم منا

جان : ومن يلومهم على ذلك ؟

كلير : ليس من يعين . علينا ان نقوم بكل اعمال البيت بانفسنا . وهو شاق جدا

جان : (تضحك فجأة) لماذا لا تطلبين إلى الشياطين ان يعيروك يدا ؟

كلير : اماه

جبرائيل : لقد قمت ببعض الغسيل وبعض الحياكة . لعلك لا تعترضين يا امى

جان : انت فتاة عاقلة . اذا كان الجحيم يتخلى عن المعونة فعلى المرء ان يلجأ إلى العمل الشاق ، أليس كذلك ؟

جبرائيل : اعرف انك لم تحبي لنا قط ان نقوم بالاعمال الوضيعة

جان : قلت ان ذلك يهبط بالنساء اللائى ينخرطن فى سلك مهنتنا (تضحك) .

الم اقل ذلك ؟

جبرائيل : اجل

(صمت)

لويز : اماه —

جان : نعم ، بنيّ ؟

لويز : لماذا حرم كبير الاساقفة على الاب باري ان ياتى لزيارتنا بعد ذلك ؟

جان : لانه قيل لكبير الاساقفة اننا نساء حمقاوات مخدوعات .

لويز : اماه —

جان : نعم ؟

لويز : هل اذنبنا ؟

جان : بما فعلنا ؟

لويز : نعم ، هل سخرنا من الله ؟

جان : لم اقصد ذلك .

ولكننا سخرنا من « الانسان » . وهذا امر آخر ! انه مخلوق عجيب ، يدعو إلى السخرية . وربما لم يخلق الا من أجل ذلك . شامخ برأسه منتش بعمله ، مما يدعو إلى الاستخفاف به . مستغرق فى اختراع معبودات زائفة يبرر بها وجوده . فيصم اذنيه عن الضحك . ولا يرى بعينيه شيئا الا نفسه ، فهو أعمى عن شارات السخرية التى يُلَوِّح بها فى وجهه .

وهكذا يسير مخمورا ، أعمى وأصم . خير موضوع للتفكه العملى . وهنا يا اخوتى يجد الأبناء التعسين من امثالى مجالا لأداء ادوارهم . اننا لا نسخر من ابينا المحبوب فى السماء . اننا نحتفظ بضحكاتنا نوجهها الى ابنائه التعسين المذنبين الذين يرتفعون عن مستواهم ويعتقدون ان لهم هدفا آخر فى هذه الدنيا غير الموت . بعد أوهام السلطة تأتى أوهام الحب . عندما يعجز الانسان عن التحطيم يبدأ فى العقيدة بانه يستطيع الخلاص بالتسلل الى زميل له فى الانسانية . وهكذا يخلد نفسه . انه لا يفتأ يكرر قوله : احبنى ، احبنى . اعزنى ، أحمنى . انقذنى . انه يقول ذلك لزوجته ، وعاهرانه ، واطفاله ، وبعضهم يقول ذلك للجنس البشرى كله . ولا يقولون ذلك لله قط . وربما كان هؤلاء اشد مايدعو الى السخرية وأكثر من يستحق الازدراء . لأنهم لا يدركون مجد الفناء ، هدف الانسان العزلة والموت .

هيا بنا ندخل .

فوق الحصون . فى المساء

(دار منياك ودي سيريزاي يدخلان من جهتين مختلفتين . متلفعان وقاية من المطر . ويصيحان ليسمع صوتهما خلال الرياح العاصفة)

دى سيريزاى : دار منياك . أنت هنا ؟

دار منياك : لقد سقط الفارس عند المدخل . ووجدوا هذه الأوراق مبعثرة

دى سيريزاي : ماذا تحوى ؟

دار منياك : لقد تراجع الملك فى كلامه . وانتصر ريشيليو . ولابد من دك حصون المدينة . وسوف تصبح مكانا صغيرا . ولن يتجاوز نفوذى سلطان التاجر .

(يظهر جرانديير بعيدا من أسفل)

دار منياك : هل هذا هو القسيس ؟

دى سيريزاي : نعم هو (يصيح) جرانديير !

دار منياك : انه سوف يعانى (يصيح) جرانديير !

جرانديير : ما هو الأمر ؟

دار منياك : لقد تحرك الكاردينال ضدنا

دى سيريزاى : فقد الملك اعصابه

دار منياك : كل هذا لا بد أن يدك

دي سيريزاى : واسمك وارد ــــ

دار منياك : لن نلبث هنا طويلا .

دى سيريزاى : يذكروا عنك المقاومة

دار منياك : انت فى خطر

جراندير : شكرا لك

دار منياك : ماذا تقول ؟ لا أستطيع ان اسمعك . هل انت مجنون ؟ هل هو مجنون ؟ دعنا نهبط

(دار منياك وسيريزاي ينصرفان . جراندير يركع . والرياح تعصف والامطار تنهمر من حوله)

جراندير : أبانا فى السماء : لقد استرجعت القوة لاعدائى ، والامل لابنك المذنب . إننى اسلم نفسى إلى أيدى الدنيا مطمئنا إلى الايمان بطرقك الخفية . لقد جعلت الطرق ممكنة . وانا ادرك ذلك واقبله . ولكنك تعمل خلف ستار من الجلالة . وأنا أخشى ان أرفع عينى وانظر . اكشف لى عن نفسك . اكشف لى عن نفسك

(يتلاشى صوته . .)

سكون

(دى نوبارد منت ومنيون)

اوبارد منت : يجب ان نعمل بسرعة

منيون : نعم ، نعم

لوباردمنت : يجب ان أرحل الى باريس هذا المساء

منيون : بهذه السرعة ؟

لوبارد منت : هل يمكن أن يتم العمل فى هذه الفترة ؟

منيون : يجب ان نحاول

لوبارد منت : قلب أفكارك فى الموضوع

منيون : كنت اطلع على الموضوع وصادفتنى قضية جوفريدى . فى مرسيليا منذ عشرين عاما . هذا القسيس سحر كثيرات من ارسولين وفسق بهن

لوبارد منت : لسنا بحاجة الى سوابق . نريد النتائج . هنا وفى هذه اللحظة استدعيهن

(منيون يسوق جان أمامه . تتبعهما كلير ولويز وجبرائيل، والاختين المجهولتين ويقف لوبار دمنت جانبا)

منيون : ايتها الاخوات المحبوبات فى المسيح . لست سوى رجل عجوز غافل لم يعد امامى فوق هذه الأرض وقت طويل انفذ فيه ارادة الله ——

لوبارد منت : هيا . ادخل فى الموضوع .

منيون : بنياتى . هل تثقن بى ؟

جان : بالطبع يا أبى

منيون : هل تثقن بي معلما روحانيا ؟

جان : دائما

منيون : حسنا . انني في شدة الانزعاج من هذا التوقف المفاجيء للظواهر الشيطانية فيكم . وهم يروون في المدينة وفي اقاصي الريف قصصا مفزعة . يقولون إنكن لم تكن فعلا متلبسات بالشياطين . بل كنتن تمثلن وتستهزئن بمكانتكن الرفيعة ، كما تستهزئن بمن هم اعلى منكن مكانة في الكنيسة .

جان : هذا ما انبأنا به طبيب كبير الاساقفة . تحدث عن الهستريا . وعن صيحة الارحام

منيون : وكان من واجبك باعتبارك امرأة طيبة ان تبرهني على خطئه . ارجو ان تؤكدى لي ان الأمر صادق . وانكن متلبسات

جان : كان الامر صدقا . كنا متلبسات بالجحيم

منيون : ومن كان الباعث ؟ من كان الساحر المخادع ؟

جان : جرانديير ! جرانديير !

الاخوات : جرانديير ! جرانديير !

منيون : ولكني الآن اخشى عليكن بشكل آخر . ان

الدلائل كلها ضدكن وضمت الشياطين يديكن
(صمت)

منيون : افلا تزين انهم (١) لا يتكلمون . ليس هناك ما يثبت فضيلتكن . آه ايتها الاخوات ، هذا السكون ينذر بلعنتكن الى الابد . كم اخشى عليكن . انى وجل . اذا تخلى عنكن الله وتخلى عنكن الشيطان وقفتن فى الارض المجهولة حائرات الى الابد . أتوسل اليكن ان تتدبرن الموقف .

جان : ابى . اننا خائفات

منيون : وحق عليكن الخوف يا بنيتى .

جان : لا تتخل عنا

منيون : ماذا أستطيع أن افعل غير ذلك . سأصلى من اجلكن

(منيون يتجه نحو لوباردمنت)

لفاياتان : (يتحدث عن طريق جان) هل لى ان أقول كلمة ؟

منيون : حمدا لله . ما اسمك ؟

لفاياتان (٢) : لفاياتان

---

(١) يقصد الشياطين

(٢) احد الشياطين اللذين تتلبس بهم جان وهناك شياطين اخــرى ترد اسماؤهم فيما بعــد .

منيون : اين تسكن ، ايها الشيء غير المقدس ؟

لفاياتان : في جبهة السيدة .

بهرينت : (يتحدث عن طريق جان) انا في معدة المرأة . واسمي بهريت .

ايزاكرون : (يتحدث عن طريق جان) انا ايزاكرون الذى احدث ، من تحت الضلع الايسر الاخير

بلاكي : (يتحدث عن طريق كلير) انا هنا (صوت آخر) وانا

ايزاز : (يتحدث عن طريق لويز) وأنا (صوت آخر) وأنا هنا

(ضجيج من اصوات شيطانية . ضحكات استهزاء . أصوات كاصوات الخنازير . صراخ . عواء)

(دى لوباردمنت يتحرك الى منيون)

لوباردمنت : حسنا ما فعلت . ولا بد ان يعود بارى من شينون . ويجب ان يبدأ في اخراج الشياطين فورا . وعلنا . بحضور ممثل البلاط . وعليك تنفيذ ذلك .

منيون : افتحوا الابواب . افتحوا الابواب

(جمهور كبير من الناس يتدفق في القصر .

رجال ونساء من المدينة . عامل الجبارى ، آدم
ومانورى . تونسانت . قزم . مخلوق ، طبال .
نساء ضاحكات . كلاب . واطفال يتسلقون
الى مواقع ممتازة يشاهدون منها .

من اسفل : الاخوات يقمن بحركات عجيبة .
جان على يديها وركبتيها تشم الأرض . وكلير
ترفع طرف ردائها فوق رأسها وتعرض نفسها
فى مشية كئيبة . اما لويز وجبرائيل فتلتصقان
فى عناق . ويكونان شكل حيوان . وعنهن
جميعا تصدر صيحات شيطانية خشنة كأصوات
الذكور : اصوات غير واضحة ، مختنقة ،
ضارعة ، خليط من فحش القول . وسرور
أهل المدينة بالغ . يلوح بعضهم لبعض باشارة
تنم عن السرور الشديد . وبعضهم يحث الاخوات
على المبالغة . وتثير الاعجاب اخت مجهولة ،
خفيفة الحركة كأنها بهلوان . وقد انكبت جماعة
على الطعام والشراب واخذت تراقب مايجرى ..
الاجراس تجلجل من فوق قمة برج كنيسة
القديس بطرس

يدخل بارى دخول الظافرين . حاملا صليبا من

الذهب مرصعا بالجواهر فى اعلاه تمثال المسيح وهو مصلوب . الصليب يتلوى ويلمع بين يديه المرتعشتين . ويقبل رانجير من طريق آخر ، وثلاثة رهبان من دير الكرمل من جانب آخر . ويقترب منيون منهم . ويجتمعون جميعا) .

باری : بعثتم فى طلبى

منيون : نعم ، نعم

باری : هل انتصر الخير ؟

منيون : نعم ، لقد انتصر

باری : ان دى سيريزاى ــــ

منيون : باه !

باري : ودارمنياك ــــ

منيون : قذارة !

باری : هل هما هنا ؟

منيون : كلا

رانجير : لا يجرؤون على اظهار وجوههم

باری : نصرة الخير . كم أحب هذه الكلمات . ساقولها مرة اخرى : انها نصرة الخير
(اخت مجهولة تخدش الأرض بيديها عند قدمى باری)

باري : إهدئى ايتها الاخت .

(باري يمسها بالصليب . دون جدوى . ولذا فهو يركل المرأة جانبا فى وحشية)

رانجير : مندوب الملك هنا

باري : من الذى ارسلوه ؟

رانجير : الامير هنرى دي كندى

باري : رجل يجري فيه الدم الملكى

رانجير : لا اقل من ذلك .

باري : حسنا جدا (يصيح) ايها الجند !

(يدخل الرماة ، ويبعدون الجمهور الى الوراء . يكاد يسود الصمت . يقف الرماة صفا امام الجمهور فيعزلون الاخوات)

لفاياتان : (يتحدث عن طريق جان بصوت مرتفع) اين العدو ؟

باري : (فى زهو شديد) انا هنا

لفاياتان : من انت ؟

باري : لست سوى رجل متواضع . ولكنى اتكلم باسم يسوع المسيح

(لفاياتان يصيح صيحة عالية . وتصدر اصوات مختلطة من الشياطين الأخري . ويظهر السرور على الجمهور)

باری : منيون . آتنی بالماء ، وكتاب القداس ، وقمصان
الكهنوت ، والوعاء المقدس ، وظفر القديس ..
وقطعة من الصليب الحق . وامدنى بها جميعا .

منيون : الاسلحة الربانية . هذه هى
(رهبان الكرمل ياتون بهذه الآثار ويرتبونها)

باری : لا بد ان استعد

(باری يخر على ركبتيه ويصلى. الجمهور يصمت.
يدخل هنري دى كندى . يستند الى ولدان
مصبوغين بالالوان وكأنه من قوم لوط ..
رجل فخم انيق . ينظر الى باری لحظة . ثم يتكلم)

دى كندى : لست اريد يا أبى العزيز ان ازعجك فى صلواتك .
ولا أقول قط ان فردا من الأسرة المالكة يتقدم
على الله ..... ولكن ....

باری : (وقد نهض على قدميه) انا فى خدمتك ياسيدى

دي كندي : شكرا . أعتقد ان هؤلاء هن النساء الهاذيات

باري : كلهن متلبسات بشيطان او اكثر

دي كندي : والباعث رجل من شعبك

باری : نعم . انه قسيس

دى كندى : لا يبدو عليك السرور

باری : السرور ؟

دي كندي : لا عليك من هذا

باري : لو اخذت مكانك ياسيدي شرعت في العمل

دي كندي : حسنا

(يتجه دي كندي الى مكان معد عن كثب ويجلس شاخصا الى المنظر . والولدان يلعبون من حوله كالفراش . وقد بات الاخوات مكدسات في غير نظام ، مكدودات ، وكأنهن من سقط المتاع الملقى على الارض . باري يرتدي عباءته ويستعد بمعونة منيون ورانجير .
يجذب دي كندي احد الولدان اليه)

دي كندي : هؤلاء نسوة يا عزيزي . حدق ببصرك . وتقيأ ان اردت . منهن ولد الانسان . اشياء مقززة . قذرة . انهن كالارض التي تنبت . ان البيض يفقس الصغار في الروث . لاتلو انفك الصغير ياحبيبي المدلل . خذ هذا العطر . بعض الرجال يحبونهن . القسيس جرانديير على سبيل المثال . لقد التقط اللحم من الحساء . انه (دي كندي يهمس في اذن الصبي . تتسع عينا الصبي . يضحك دي كندي . باري يتقدم)

باري : إأذن لي يا سيدي ان ابدأ

كندى : ابتدىء

بارى : عندى أولا تصريح أريد أن القيه . هذا يا سيدى — (يرفع القدح) — يحتوى على القربان المقدس

(يضع بارى القدح على رأسه ويركع)

بارى : أبانا فى السماء . اللهم أصبنى بالخزى وانزل بى لعنة داتان وابيرام إن أنا فى هذا العمل اذنبت او ارتكبت اى نوع من انواع الخطأ .

دي كندى : اشارة حميدة جدا . برافو

(باري ينهض ويتجه نحو جان)

بارى : لفاياتان . لفاياتان

لفاياتان : (يتحدث عن طريق جان . ويغلب عليه النوم) اعزب عنى

بارى : تيقظ

لفاياتان : (يتحدث عن طريق جان) انك تضايقنى

بارى : باسم سيدنا يسوع المسيح ——

لفاياتان : (يتحدث عن طريق جان) لاتقحم اسم هذا الدجال فى المحادثة

بارى : انه يزعجك . ايه ؟

لفاياتان : (يتحدث عن طريق جان) اننى لا احتمل الحمقى مسرورا . كل ذلك الحديث عن المحبة

له اثر مخدر للنفوس . ولم يكن الرجل فوق ذلك مهذبا . .

دى كندى : ايها الاب المقدس ———

بارى : نعم ، سيدي

دى كندى : الاحظ انك لاتخاطب هذه المخلوقات باللاتينية كالعادة ، فلماذا ؟

بارى : انهم لا يتحدثون هذه اللغة . وارجو ان تعلم يا سيدى ان من الشياطين المتعلم وغير المتعلم

دى كندى : تماما

لفاياتان : (يتحدث عن طريق جان) انى لم اسافر كثيرا (ضحك عميق ، وتعقبه الشياطين الاخرى)

بارى : استمع الى ، ايها القذر ——

لفاياتان : (يتحدث عن طريق جان) : أنت دائما تنادى الاشخاص بأسمائهم

بارى : ساذكر لك اسما . جراندير !

لفاياتان : (يتحدث عن طريق جان) هذا صوت حلو اعده على مسمعى

بارى : جراندير !

لفاياتان : (يتحدث عن طريق جان) نعم انى احبه

بارى : هل تعرفه ؟

لفاياتان : (يتحدث عن طريق جان) نحن نخدمهُ . أليس كذلك ؟

زابولون : (يتحدث عن طريق كلير) نعم

ايزاكارون : (يتحدث عن طريق جان) نعم نخدمه ، نعم نخدمه

بهريت : (يتحدث عن طريق جان) جرانديير ! جرانديير !

بازاز : (يتحدث عن طريق لويز) آه ياحبيبى ، ياعزيزى ، امسكنى ، خذ ـــــ خذ ـــــ آه

زابولون : (يتحدث على لسان كلير) جرانديير ! جرانديير !

بهريت : (يتحدث على لسان جان) جرانديير ! جرانديير !

بازاز : (يتحدث على لسان لويز) جرانديير ! جرانديير !

لفاياتان : (يتحدث على لسان جان) جرانديير ! جرانديير !
(الأرواح الشريرة فى لغط)

بارى : ليتحدث أحدكم نيابة عنكم جميعا .
(رانجير ومنيون يسيران وسط الاخوات يرشان الماء المقدس فتتلاشى تدريجيا الصيحات والاصوات المرتفعة)

دى كندى : هل استطيع ، ايها الأب ، أن أوجه السؤال الى هذه الاشياء ؟

بارى : بكل تأكيد يا سيدى

(رانجير ومنيون ورهبان الكرمل يدفعون الأخوات البائسات الى الامام حتى يقفن فى صف تجاه دى كندى ، الذى يحدق فيهن بازدراء)

دي كندى : (موجها الخطاب الى الاخوات) ايها السادة(١) لقد ابديتم لنا آراءكم فى صفة المخلص المبارك وقيمته (همس من الشياطين) . ايكم يجيبنى فى موضوع ليست له الا أهمية قومية ؟

بهريت : (يتحدث على لسان جان) سأحاول

دى كندى : ستحاول ؟ حسنا . ما اسمك ؟

بهريت : (على لسان جان) بهريت

دى كندى : اسمع يابهريت . اجبنى عن هذا . ما رأيك فى جلالة ملك فرنسا ومستشاره الكاردينال العظيم ؟ (صمت)

دى كندى : هيا . لابد ان تكون لك بعض الآراء باعتبارك شيطانا سياسيا . أم هل تجد نفسك فى المأزق الذى تجد نفسها فيه أكثر احزاب المعارضة ؟ اذ لا بد لك ان تتحدث بأكثر من صوت .

بهريت : (يتحدث على لسان جان : متمتما) لست افهم

(١) الخطاب هنا للشياطين الساكنين فى الاخوات

دى كندى : بل تفهم جيدا . اذا انت اثنيت يا بهريت على الملك ووزيره فانت تتسامح وتعنى ان سياستهما جهنمية واذا انت يا اختى جان هجوتهما فانت تخاطرين بالخيانة ضد رجلين قويين . انى اعطف على موقفك الصعب . ابى بارى ــــ

(بارى يتقدم بينما يتناول دى كندى صندوقا صغيرا من أحد الولدان)

دى كندى : عندى هنا اثر له اعظم قيمة مقدسة . اعارتنى اياه كتدرائية كبرى فى الشمال . وانا اشعر ان هذه الاجزاء والقطع التى جمعتها من مصادر محلية قد لاتقوى على تشتيت هذه الشياطين الوقحة . لماذا اذن لا تجرب هذا .

بارى : ماذا بالصندوق ياسيدى ؟

دى كندى : قارورة من دم سيدنا يسوع المسيح

(بارى يتناول الصندوق بين يديه باحترام ويقبله)

دى كندى : خبرنى يا ابى . أى أثر يكون لاقتراب هذا الاثر قربا شديدا على امثال هؤلاء الشياطين ؟

بارى : انه يرغمهم على الفرار

دى كندى : فى الحال ؟

بارى : فورا . ولكنى لا أضمن ــ بالطبع ــ الا يعودوا اذا أزيل الأثر

دي كندي : بالطبع لا تضمن . اننا نتطلب الكثير اذا توقعنا منك ذلك . هل تريد ان تجرب ؟

(باري يتقدم نحو جان)

باري : باسم ابينا فى السماء ، أناشدكم ، أيتها الكائنات المفزعة ، ان ترحلوا ، بفعل هذه المادة المقدسة .

(باري يضع الصندوق على جبين جان . فترحل الشياطين عن جسدها فى الحال ، عن طريق فمها المشوه ، وهى تصرخ عدة صرخات . صمت . ثم تنهض جان منتصبة وتتكلم فى هدوء ، فى صوت فتاة صغيرة ، وبشخصها) .

جان : لقد تحررت ، لقد تحررت

(تتجه الى دي كندى . تركع ، وتلثم يديه)

دي كندي : ما اشد سرورى لانى اديت خدمة يا سيدتى

باري : (منتصرا) أرأيت !

(دى كندى يتناول الصندوق من بارى ، ويفتحه ، ويقلبه ، فاذا به فارغ)

دي كندي : أرأيت يا أبى ؟

باري : (بعد لحظة) آه سيدى . ايه حيلة لعبت على ؟

دي كندي : بل اية حيلة تلعب انت علينا ؟

(يسود الرجلين صمت . يبتسم دى كندى .

الجمهور صامت . النساء مفزوعات . منيون يشق السكون فى لحظة . يجري فى دوائر صغيرة ممسكا برأسه الصغير بين راحتيه)

لفاياتان : (يتحدث على لسان منيون) اخديعة اخرى ؟

بهريت : (على لسان منيون) ابتعد

(منيون يصيح ، بينما بهريت يدخل عنوة . ويبدأ رانجير فجأة فى الصهيل كأنه حصان ، ويرقص فى رشاقة . ويتقدم ليعرض نفسه . وتبدأ الاخوات فى الصراخ والعويل وقد احسسن بالعطف . وتهب إحداهن نفسها ارانجير فى فحش ، فيمتطيها . ولا تبقى سوى جان وحيدة ساكنة . ويبدأ صبى الى جوار دى كندى فى الضحك الرنان بصورة هسترية . ويسود الجمهور اضطراب . وتحل الشياطين بامرأتين . يتطلع بارى حواليه فى فزع . ثم يلوح بالصليب كأنه عصا ، ويغوص بين الشياطين المحيطة به) .

بارى : اننا محاصرون . اخلوا المكان فورا .

(رهبان الكرمل يطردون الاخوات ومنيون ورانجير وهما يرقصان ، على عجل ، والحراس يشتتون الجمهور ويمر بارى وسط الناس ، ويمس بصليبه من به مس ومن ليس به مس ، ويصيح)

.... per factorem mundi, per eum qui habet potestatem mittendi te in gehennam, ut ab hoc famuls Dei, qui ad sinum Ecclesiae recurrit, cum metu et exercitu furoris tui festinus discedas. (1)

(يبتعد رانجير ومنيون والاخوات ، ويعقبهم باري . ويقصد الناس بيوتهم وهم يتثاءبون . ولا يزال الصبي الواقف الى جوار دى كندى يضحك حتى تسيل من عينيه الدموع) .

دى كندى : (باسما) اسكت ايها الصبى

(دى كندى يحدق فى جان التى تقف امامه ، وحيدة ، على مبعدة منه)

كثيرا ما يتهموننى بالفسق يا امى . حسنا . لما كنت من ابناء الأسر الرفيعة فانه لابد لى من الانحناء أكثر من غيرى من الرجال . انى اعرف — وانا ملوث مبتل — ماذا انا فاعل ، وما ينبغى لى أن أعطى . فمن رأيى أن تنالى بغيتك من هذا الرجل جرانديير ، حيث انى اعرف كيف يسير العالم . ولكن هل تعرفين ما ينبغى

---

(١) ومعناها بالعربية : بسلطان خالق الكون ، بسلطان ذلك الذى له القدرة على ارسالك الى جهنم لكى تهجر هذا الخادم الربانى الذى ياوى الى المكان الخفى فى الكنيسة وقد أسرع بك غضبك وصاحبك هلعك وحشدك .

لك ان تعطى ؟ (عرضا) روحك الخالدة إلى اللعنة فى صحراء لا متناهية من الهمجية الابدية .

(دى كندي والولدان ينصرفون .
كلير ولويز تدخلان منفصلتين عن جان .
اصوات مرحة)

كلير : لم افلح قط فى صلاتى

لويز : ولا أنا

كلير : كان بوسعنا ان نقضى حياتنا ركعا

لويز : دون ان يسمع بنا أحد

كلير : إنهم يبيعون صورتى فى المدينة

لويز : إننا مشهورات فى جميع ارجاء فرنسا

كلير : هل لا زلت منزعجة من اللعنة التى أصابتك ؟

لويز : كلا لم تعد اللعنة تزعجنى

كلير : لم يحدث ذلك منذ ما سمعت الاعجاب بساقيك الجميلتين

لويز : حبيبة قلبى ، فيم تفكرين الآن وانت فى المعبد ؟

كلير : فى هذا وفى ذاك ، فى وسائل جديدة .

لويز : مما يمتع ؟

كلير : نعم (جرس) هيا .

(تنصرفان وهما تضحكان . تقف جان صامتة برهة ، ثم :)

لفاياتان : (على لسان جان) طهرى عقلك من الزندقة ، أيتها المرأة ذات الحلقة الغريبة .

جان : انا خائفة .

لفاياتان : (على لسان جان) كلام فارغ . اننا نؤيدك فى أى عمل تقومين به .

جان : أريد أن أكون طاهرة .

لفاياتان : (على لسان جان) ليس هناك شيء اسمه الطهارة

جان : رباه ، رباه ، كلا ، بل هناك .

(ترتفع أصوات النسوة من المعبد المجاور) .

لفاياتان : (على لسان جان) كلا ليس هناك . تفكرى يا عزيزتى وتذكرى رؤى الليل . هو و— — (ضحكات فاحشة) . أوه ، ذلك الشيء — وانت متفتحة — كلا ، كلا يا عزيزتى .

ليس هذا طهراً ، بل ولا كرامة . فيم تفكرين ؟

ليس فكرك كله دنس ، بل كله سخيف .

هل تذكرين ؟

(تبدأ جان فى الضحك . يشاركها لفاياتان . ظلام) .

مجلس الولاية فى المساء .

(لويس الثالث عشر ، ريشيليو ، الأب جوزيف
ولا فيريير وزير الدولة .
دى كندى منعزل .
دى لوبارد منت يتقدم ويخاطب المجلس . يقف
إلى جانبه كاتب ، يسلمه أوراقا لها بالموضوع
صلة بين الحين والآخر) .

لوباردمنت : صاحب الجلالة . صاحب الفخامة . طلبتم إلى أن
اقدم تقريراً عن حالة التلبس فى لودان . اسم
الرجل أربان جرانديير .

دى كندى : انه برىء .

(الرجلان يوجهان الخطاب إلى المجلس) .

لوباردمنت : اشار على القسيس فى تلك الناحية ورجال الطب
المشهورون بأن التلبس حقيقى .

دى كندى : وأنا كذلك كنت هناك . الرجل برىء .

لوباردمنت : أُجرى البحث فى بيت جرانديير فوجدت به
مخطوطات متنوعة . وجدت به رسالة كتبت
منذ بضع سنوات موجهة إلى فخامتك . وهناك
أوراق أخرى تؤيد تعضيد جرانديير لدارمنياك
فى موقف التحدى الذى يقفه بشأن حصون المدينة .
وهو الموقف الذى أغضبك كثيراً يا صاحب

الجلالة . ووجدت أيضاً رسائل ومذكرات ذات صبغة شخصية. وجدت رسالة عن «عزوبة رجال الكهنوت» . والظاهر أن الرجل كان فى حالة عشق عندما كتب هذه الرسالة . ويُروى أن زواجا صوريا تم مع إحدى بنات النائب العام . ووجدت كذلك رسائل من نسوة أخريات ، والظاهر إن إحدى هذه الرسائل تشير إلى أنه قد ارتكب الحدث الأكبر فى الكنيسة .

دى كندى : من أجل محبة المسيح أقول لكم إن أردتم أن تهدموا الرجل فلتهدموه. لم آت هنا لأشفع له فى حياته. بيد ان وسائلكم مخجلة . إنه يستحق خيراً من هذا جزاء كل رجل يستحق أكثر من ذلك. اقتلوه بالقوة ، ولكن لاتجسسوا فى بيته ، وتتلمسوا مثل هذه الأدلة ضده . أى رجل يستطيع أن يواجه الاتهام على أساس حماقة الشباب ورسائل الحب القديمة وتلك الأشياء العاطفية التى توجد فى الأدراج أو فى أسفل خزائن الملابس يحفظها صاحبها خشية ان يحتاج ذات يوم إلى الذكرى بأنه أحب ذات مرة ؟ كلا . حطموا الرجل لمعارضته ، اولقوته ، اولعظمته ، ولكن لاتحطموه من أجل هذا .

لوباردمنت : (إلى المجلس) الآن يجب أن أقدم أى شهادة فى مصلحة الرجل .:....

(يقاطعه ريشيليو باشارة منه) .

ريشيليو : ان الشيطان لاينبغى أن يصدق حتى عندما يقول الحق .

لوباردمنت : سأعمل طبقا لأوامرك فوراً .

(دى لوبارد منت يتقدم . يتجمع حوله الحراس. ثم ينطلقون) .

صباح رائع .

(جراندير يتقدم نحو عامل المجارى حاملا باقة من الزهور) .

العامل : ما هذه ؟

جراندير : لابد انى التقطتها فى مكان ما . لست أذكر . خذها لك .

العامل : شكراً . رائحتها حلوة . وهى مناسبة جدا .

جراندير : هل أستطيع أن أجانسك ؟

العامل : طبعا . مع أنى لم أرتكب ذنبا هذا الصباح . آسف.

جراندير : دعنى أنظر إليك.

العامل : هل تحب ماترى ؟

جراندير : جدا .

العامل : ماذا حدث ؟ إنه مشبع بالغموض .

جراندير : كنت خارج المدينة . كان هناك رجل يحتضر . قضيت معه يوما وليلتين . وكانت هذه المرة المائة التى اشاهد فيها الموت .كان النضال فاحشا . وهو كذلك دائماً .

فمرة أخرى أرى رجلا عجوزاً أحمق آثماً» يترك الدنيا بعد أن فات أوان الوفاق . شدد قبضته على يدى حتى عجزت عن الحركة . ورفع وجهه الملوث نحوى فى دهشة ليس لها معنى مما كان يحدث له . ولذا فقد بقيت هناك وسط روائح الأطعمة الفاسدة فى المطبخ.بينما أخذ أفراد الأسرة يتجادلون فى الظلام هامسين ، بين العبرات ، عن مقدار المال الموجود تحت الفراش .

كان رجلا قذرا ، عجوزا، لاينم عن مخايل الذكاء . وقد أحببته حبا جما . وغبطته كثيراً لأنه كان يقف على عتبة الحياة الابدية . أردت له أن يتجه نحو الله ، ولايتطلع وراءه خلال الضوء المعتم ، ويحدق مشغوفا فى هذا الدار الأولى .

قلت له : كن مسروراً ، كن مسرورا .ولكنه لم يفهم .

وتراخت روحه عند الفجر ولم تستطع أن تجتاز يوما آخر . وصدرت عن الأسرة صيحات الذعر . أخرجت الأشياء الضرورية التى احتفظ بها فى هذه الحقيبة . واعترف لى بخطاياه الدنيئة الصغيرة ، ومحوتها عنه ، وأمكن للرجل ان يموت . وفاضت روحه. وقد تشبث بالحياة إلى آخر رمق .

ووجهت إلى الأسرة حديثى المعتاد ، بوجه القسيس ، وهكذا أديت واجبى .

ولكنى لم أستطع أن أنسى حبى للرجل .

خرجت من البيت ، وفكرت فى العودة على قدمى ، واستنشق النسيم بعد غرفة الموت الضيقة. وطرقت أذنى دقات جرس كنيسة القديس بطرس. وكان الطريق متربا . انى أذكر اليوم الذى قدمت فيه إلى هذا المكان . كنت أرتدي حذاء جديداً . كان مبيضا من التراب . هل تعلم أننى نفضت عنه التراب برداء الكهنوت قبل أن يستقبلنى الأسقف . كنت فى ذلك الحين مغروراً أحمق. وكنت كذلك طموحا .

وتابعت المسير . وكانوا يعملون فى الحقول ،
ونادونى . وانى لأذكر كيف كان يحلو لى العمل
بيدى حينما كنت صبياً . ولكن أبى قال لى إن
أن ذلك لايلائم شخصاً فى مثل أسرتى .
واستطعت أن أرمق كنيستى على بعد .وكنت
مزهواً ، فى صورة متواضعة . وفكرت فى
حبى بلجمال هذا المكان الذى لم يكن جميلا جداً .
وتذكرت الليل فى المبنى ، حيث يرى الذهب
فى الظلام مضاء بالشموع . وفكرت فيك .
وتذكرتك صديقاً .
والقيت عصاى لأستريح . ورأيت الأرض ممتدة
امامى . هل تعرف أين يلتقى النهران ؟
هناك قمت بالغزل ذات مرة .
ومربى الأطفال . نعم ، هناك بطبيعة الحال
حصلت على هذه الزهور . انى لم التقطها .
إنما اعطيت لى .
وراقبت الأطفال وهم ينصرفون . نعم ، لقد
كنت مكدوداً .
واستطعت أن ارى أبعد من مرمى النظر .قلاعا،
ومدائن ، وجبالا ، ومحيطات ، وسهولا ،
وغابات — و ــــــ

ثم – آه ، يا بنى ، يا بنى – ثم أريد أن أقول لك.

العامل : هيا خبرنى . وكن هادئ النفس .

جراندير : بنى . اننى – هل انا مجنون ؟

العامل : كلا . بل عاقل جداً . خبرنى . ماذا فعلت ؟

جراندير : صورت الله لنفسى .

(صمت) .

جراندير : صورته من النور ومن الهواء . من تراب الطريق. من عرق يدى ، من الذهب ، ومن القذارة . ومن ذكرى وجوه النساء ، من الأنهار العظيمة، من الأطفال ، من عمل الإنسان . من الماضى ، من الحاضر ، من المستقبل . ومن المجهول .صورته من الخوف ومن اليأس . وجمعت كل شيء من هذا العمل العظيم ، كل ماعرفت ، ومارأيت ومارست . ذنوبى ، ومزاعمى ، وغرورى، ومحبتى ، وكراهيتى ، وشهوتى . وأخيراً وهبت نفسى ، وهكذا صورت الله لنفسى . وكان عظيما. لأنه كل هذه الأشياء . وكنت بكليتى فى حضرته. وركعت فى الطريق وأخرجت الخبز والنبيذ .

Panem vinum in salutis consecramus hostiam (1)

---

(1) ومعناها بالعربية : نقدم الخبز والنبيذ ، قربانا من أجل الخلاص .

وبهذا الإدراك وهب الله لى نفسه عن رضى كما
وهبت له من قبل نفسى .
(صمت) .

العامل : وجدت الطمأنينة .

جراندير : بل أكثر من ذلك . وجدت المغزى .

العامل : ان ذلك يجعلنى سعيداً .

جراندير : ثم وجدت العقل يا بنى .

العامل : وهذه هى الصحة .

جراندير : لابد أن انصرف الآن . لابد أن أذهب لأعبده
في بيته ، وأقدسه فى معبده .
لابد أن أذهب إلى الكنيسة .
(جراندير يتقدم ويدخل الكنيسة .
الجند يقفون مسترخين حول المذبح . ويتقدم
لوباردمنت) .

لوباردمنت : انت ممنوع من هذا المكان .

جراندير : ممنوع ؟

لوباردمنت : انت قسيس فاسق . ليس عندك تقوى أوورع .
يجب ألا تدخل .

جراندير : انها كنيستى .كنيستى المحبوبة .

اوبارد منت : لم تعد كذلك . انت مقبوض عليك . وسوف تتلى عليك التهم . اتبعنى . آتونى به

(جراندير بين الجند . يخرج من الكنيسة إلى ضوء الشمس ودى لوبارد منت يتقدم الطريق . ويمرون خلال الشارع . ويتطلع آدم ومانوري وترنسانت من نافذة عليا وهم يضحكون فى سخرية .

وتشاهد المنظر فيليب ترنسانت وإلى جانبها رجل عجوز صامت .

يتحرك رانجير ومنيون فى الكنيسة ، ومعهما مبخرة ، يترنمان ، ويخرجان الشياطين .

وباري جاث على ركبتيه فى الشارع أثناء مرور جراندير .

وعامل المجاري يشاهد المنظر ويتجمع حوله زحام من أهل المدينة ، محدثين ضجة ، ومتسائلين .

وبينما يسير جراندير ، تمتلىء الطرقات والكنيسة بصياح الشياطين وضحكاتهم ، التى تصدر من جميع الأفواه .

ضحك . ضحك) .

ستار

الفصل الثالث

في المساء .
حجرة سجن . تعلوها حجرة أخرى .
(جراندير وحيدا .
ضحك و صياح يسمع على بعد من جمهور لايرى.
بنتان السجان ، يتقدم نحو جراندير)

بنتان : هل نمت ؟
جراندير : كلا . كلا . الضوضاء . الجمهور .هل ناموا ؟
بنتان : لقد تدفق على المدينة ثلاثون ألف شخص .
أين تظن يجد هؤلاء لهم أسرة ؟
جراندير : وهل هم بحاجة إلى النوم ؟ هل كنت أنا أيام
طفولتي أنام في الليلة التي تسبق الوليمة ؟
بنتان : لاشك أنهم يتطلعون اليها .
جراندير : ماهي ؟ أذكرها .
بنتان : عقوبة الإعدام .
جراندير : انني لم أقدم للمحاكمة بعد .

بنتان : حسنا .ليكن ماتريد . ولتجر المحاكمة .

جرانديير : هل انت رجل رحيم ؟

بنتان : انما هو نظامكم . وأحمد الله لو وجدتَ رجالا يقومون بالمهمة . لاتنتظر منهم أن يكونواروٌوفين كذلك . إنما أتيت لأنبئك أنك سوف تدعى فى الصباح الباكر . وإذن فلتحاول أن تحصل على بعض النوم .

جرانديير : شكراً لك .

بنتان : هل تريد أى شىء ؟ ليس عندى الكثير مما أستطيع تقديمه .

جرانديير : لاشىء . لاشىء .

(جان والأب منيون).

جان : لاترحل .

منيون : إنها الثالثة صباحا . وأنا رجل عجوز . بحاجة إلى النوم .

جان : لا أريد أن أتركك وحيدة معه .

منيون : مع الرجل الذى عذبك ؟ جرانديير ؟

جان : نعم .

منيون : انه تحت الحراسة المشددة .

جان : كلا . إنه هنا . فى باطنى . كالطفل . انه لم يكشف لى قط أى نوع من أنواع الرجال هو . عرفته جميلا . وقال الكثيرون عنه إنه بارع ، وقال كثيرون آخرون إنه شرير . ولكن برغم كل قسوته على روحى وبدنى لم يأت قط بغير المحبة . كلا . دعنى أعبر عما فى نفسى . أقول إنه فى باطنى . أنا فى قبضة الشيطان . ولكنه ساكن ، يرقد تحت قلبى ، ويعيش فى أنفاسى ، وفى دمى . وهو يخيفنى . أخاف أن أكون قد قد ارتكبت أجسم الأخطاء فى هذا الأمر .

منيون : ماذا تعنين ؟

جان : هل أخطات ؟ هل اتخذ الشيطان صورة الشخص الذى احب ، صورة محبوبى ، ليخدعنى ؟

منيون : أبدا . الرجل رسوله .

جان : ماأشد ضآلة جسمى . إنه ميدان صغير للمعركة التى يتقرر فيها مصير هذا النضال الفظيع بين الخير والشر ، بين الحب والكراهية . هل أخطأت حينما سمحت لهذا النضال ان تدور رحاه ؟

منيون : كلا . كلا . الست تفهمين ؟ إن هذه الأفكار عينها تتسرب إلى عقلك بقوى الخوف . ومن

الخطأ أن تظن أن الجحيم يقاتل دائماً بصليل السلاح . فى هذه الآونة ، فى ساعات الفجر ، يرسل الشيطان رسله سراً ، يتهامسون بما يحملون من رسائل الشك .

جان : لست أعرف ، لست أعرف . انكم جميعاً تتكلمون بأصوات متعددة . وانا مجهدة. (تصيح) أبى . أبى .

(جراندير وحيدا فى غرفة السجن) .

جراندير : سوف يكون هناك ألم . وهذا الألم سوف يقضى على اعتقادى فى الله . إن خوفى يطرده الآن بالفعل .
نعم ، نعم . لسنا سوى ذباب فوق الأسوار . نطن فى حماره القيظ . هذه هى الحقيقة ، هذه هى الحقيقة . كلا ، كلا ، بل نحن مخلوقات شائهة خلقنا فى يوم واحد . لسنا سوى صلصال بين يدى طفل . يا للفزع . يجب أن نحفظ فى القوارير ونعلق فى الصيدلية . كأننا تحف ، للتسلية فقط. إذن . لاشىء .
هل أحتمل الألم ؟ أماه ، أماه ، اذكرى خوفى !

أوه . لاشيء . هذا الصباح على الطريق .
ماهي القصة ؟ لم تكن سوى خداع المعانى البسيطة .
حيلة من حيل الشمس ، شيء من تعب الجسم ،
ثم يشرع الإنسان فى الاعتقاد بأنه خالد . انظر
إلى الآن . اقلص يدى محاولا أن أقنع نفسى أن
هذا اللحم وهذه العظام لها معنى .
ومع هذا فالأمر محزن ، محزن ، محزن جداً .
يرى المرء فى الصباح ماهو المجد ، فإذا حل
المساء زالت عنه الرؤيا .
أبانا فى السماء . بالرغم من أنى اناضل بين
ذراعيك كالطفل الغاضب —
هذه الحاجة إلى إيجاد المغزى . أى كبرياء هذا .
لسنا إلا ضحايا . لاشيء ينتهى إلى لا شيء .
دعنى أتفرس هذا الفضاء . دعنى اتفرس نفسى
هل هناك شيء واحد ، فى الماضى أو الحاضر ،
يؤدى إلى غرض ؟ (صمت) لاشيء . لاشيء .
من هناك ؟
(يدخل الأب امبروز . وهو رجل عجوز) .

امبروز : اسمى امبروز.

جراندير : أعرفك يا أبى .

امبروز : انبأونى بمتاعبك يا بنى . والليل قد يطول .

جراندير : نعم . البث معى .

امبروز : فكرت فى أن أقرأ لك . أو — أن آثرت ذلك — أدينا الصلاة معا .

امبروز : دعنى احاول

جراندير : كلا . أعنى .

جراندير : إنهم يهدمون ايمانى . بالخوف والعزلة الآن . وبالألم فيما بعد .

امبروز : اتجه إلى الله يا بنى .

جراندير : لاشيء يتجه إلى لاشيء .

امبروز : الله هنا ، والمسيح هو هذه اللحظة .

جراندير : أجل هذه عقيدتى . ولكن كيف أستطيع الدفاع عنها ؟

امبروز : بذكرك اردة الله .

جراندير : نعم ، نعم .

امبروز : بذكرك إنه لايجب أن يطلب منه شيء ، ولايجب أن ينكر عليه شيء .

جراندير : أجل ، ولكن كل هذا فى الكتب . وقد قرأتها . وفهمتها . ولكن هذا لايكفى .
لايكفى . لايكفى الآن على الأقل .

امبروز : الله هنا . والمسيح هنا .

جراندير : انت رجل عجوز . ألم تظفر بغير هذا النسيج المزركش فى كل سنى حياتك ؟
إنى آسف . لقد أتيتَ لصدقة خالصة . وانت الوحيد الذى فعلت ذلك . أنا آسف .
(امبروزيفتح كتابا) .

امبروز : لابد من إرادة الألم . ولابد من إرادة المصاب . ولابد من إرادة الذلة .
فان بالإرادة ـــــ

جراندير : يمكن الإدراك . أعرف ذلك . اعرف ذلك .

امبروز : إذن انت تعرف كل شىء .

جراندير : لست اعرف شيئا . حدثنى كرجل يا أبى . تكلم عن بسائط الأمور .

امبروز : أتيت لمعونتك يا بنى .

جراندير : تستطيع معونتى بكلامك كرجل . ولذا أرجوك أن تطوى الكتب . وانس ألفاظ الآخرين . ووجه خطابك إلىّ .

امبروز : آه . انك تعتقد أن فى البساطة سراً ما . نعم انى رجل بسيط . فلم تساورنى قط شكوك عظيمة . ولما كنت ساذجا وخجولا كنت بطبيعة الحال

أقل تعرضاً للإغراء من غيرى . ان الشيطان
يحب من العظمة أكثر مما استطعت أن أقدم .
كنت فتى فلاحا اتمسك بمحبة الله لأنى كنت أشد
نشازا من أن أطلب محبة الإنسان .
لست المثال الطيب يا بنى . ومن أجل هذا أتيت
بالكتب .

جراندير : انت تحط من قدر نفسك. ماذا ينبغى أن نعطى الله ؟

امبروز : أنفسنا .

جراندير : ولكنى عديم القيمة .

امبروز : هل أذنبت كثيرا ؟

جراندير : كثيراً .

امبروز : حتى صغار الفتيات ياتين إلى فى هذه الأيام، ويعترفن بأشياء لا أعلم شيئاً عنها .ولذا فمن العسير على أن أفهم ذنوب رجل فتى من رجال الدنيا مثلك . ولكن دعنى أحاول .

جراندير : كانت فى حياتى نسوة وشهوة . . ونفوذ وطموح.. ودنيا وسخرية منها .

امبروز : تذكر . الله هنا . انك تتكلم فى حضرته . والمسيح هو هذه اللحظة . وانت تكابد معه .

جراندير : أخشى الألم المقبل . أخشى الذلة .

امبروز : هل كنت تخشى نشوة الحب ؟

جراندير : كلا .

امبروز : او ذلة الحب ؟

جراندير : كنت أباهى بها . ولقد عشت بحواسى .

امبروز : وإذن فلتمت بها .

جراندير : ماذا تقول ؟

امبرور : امنح الله الألم ، والرعشة ،والنفور من الدنيا .

جراندير : نعم . أمنحه نفسى .

امبروز : ليكشف لك عن نفسه بالطريقة الوحيدة التى تستطيع أن تفهمها .

جراندير : نعم . نعم .

امبروز : تلك هى كل ما يستطيع أينا أن يفعل . إننا نحيا فترة وجيزة ، وفى هذه الفترة الوجيزة نذنب . اننا نتجه إلى الله حسبما نستطيع . كل شيء يعفى عنه

جراندير : نعم انا ابنه ، هذا حق . وليقبلنى كما أنا . وإذن فهناك مغزى . هناك مغزى على أى حال . أنارجل مذنب ، ومن الممكن قبولى . لست لاشيء متجهاً نحو لاشيء . إنما هو ذنب يتجه نحو العفو . إنه مخلوق بشرى يتجه نحو المحبة .

(بنتان يدخل) .

بنتان : عليه أن يخرج الآن . يقولون انك تستطيع أن تطلب الأب بارى أو الأب رانجير ان كنت فى حاجة إلى قسيس .

جراندير : يقولون ذلك ؟

بنتان : فى الخارج .

جراندير : دى لوباردمنت ؟

بنتان : نعم هو .

امبروز : هل لابد أن أخرج ؟ هل يقول إنى لابد أن أخرج ؟

بنتان : نعم يا أبى . انك خطر بسذاجتك . ولكنهم تأخروا عن الميعاد .

امبروز : لست أفهم .

جراندير : من هذا الطريق أفضل . دعنى اقبلك .

(بنتان والأب امبروز ينصرفان .

جراندير وحيداً) .

جراندير : ما هذه ؟ دموع ؟ متى حدث ذلك آخر مرة ؟ ماهى الحكمة فى الدموع ؟
لابد أن تكون لما يفقد المرء لا لما يجد . لأن الله هنا.

ضوء النهار المفاجىء . ضحك .

(كلير وجبرائيل ولويز يظهرن فى العراء) .

جبرائيل : المدينة كالملهى .
كلير : كانوا يغنون قريبا من نافذتى طوال الليل .
جبرائيل : هناك بهلوانات . اتمنى أن نراهم . لقد أحببت البهلوانات .
كلير : ألم يسل بعضنا بعضا بما فيه الكفاية بهذه الطريقة؟ (تضحكان) .
لويز : يظهر أننا لم تعد نسلى الآخرين . لم يقترب منا منذ أيام أحد من القسس أومن كبار أهل باريس .
(جان تقبل عليهما ، غير ملحوظة) .
جان : يجب أن تفهمى يا لويز أن محبوبى الجماهير لهم أيامهم التى تنتهى كغيرها من الأيام .
لويز : هل انتهى كل شىء يا أمى .
جان : عاجلا . إنه يظهر أمام قضاته هذا الصباح ،ليدلى بأقواله الأخيرة .
لويز : لم أقصدالأب جراندير . إنما قصدتنا. ماذاعسانا ــــ
جان : ثم ينطقون بالحكم . وأخيراً يكون « السؤال ».
لويز : وما مصيرنا يا أمى .

لويز : سوف نعيش . أمامك حياة طويلة ، يا لويز الحسناء . فكرى فى الأمر .

(حجرة السجن . ما نورى وحيدا .
يسمح لآدم بالدخول) .

آدم : هالو .

مانورى : هالو .

آدم : هل أرسلوا فى طلبك ؟

مانورى : نعم .

آدم : وكذلك أرسلوا فى طلبى . بأمر من لوباردمنت.

مانورى : نعم .

آدم : لقد أتيت بأدواتى . هل فعلت ؟

مانورى : نعم .

آدم : الأدوات التى ظننت أنها ضرورية .

مانورى : من العسير تحديد ذلك . أليس كذلك ؟

آدم : هل قمت بمثل هذا العمل من قبل ؟

مانورى : كلا .

آدم : ولا أنا ، هو ....م. الجو بارد هنا .

مانورى : أجل .

آدم : هل هو بارد فى الخارج ؟

مانورى : نعم .

آدم : بارد بالنسبة إلى الصيف.

مانورى : بالنسبة إلى أغسطس ، نعم .

(دى لوبارد منت يقبل) .

لوباردمنت : عمتم صباحا ، أيها السادة . يسرنى أن أجدكم هنا . لقد عادوا به من المحكمة . وهو فى طريقه الآن .

مانورى : ماذا تريدنا أن نفعل بالضبط ؟

لوباردمنت : تعدان الرجل . لقد وصلوا إلى القرار .بالإجماع . وأدين .

آدم : حسنا ، حسنا .

مانورى : ليس فى ذلك مايدعو إلى الدهشة .

آدم : هكذا انتهى الأمر .

لوباردمنت : أريدكما أن تتعجلا ما استطعتما . لقد حظى هذا المخلوق بقدر هائل من العطف وهو يدلى بأقواله الأخيرة . بل لقد انهمرت من أجله دموع حارة . ولذا فإنى أريد له أن يعود إلى هناك مهيئا ليستمع إلى الحكم بأسرع مايمكن .

مانورى : سنبذل جهدنا .

لوباردمنت : هل تتفضل يا آدم لتقابل السجان . إنه يجمع المواد اللازمة ويضمها إلى بعضها .
هاتها بعدما ينتهى .

آدم : حسنا سأفعل .

(آدم ينصرف) .

لوباردمنت : لقد كان للرجل تأثيره . وفسر بارى ذلك بأنه من فعل الشيطان . فليس الهدوء إلا الوقاحة الجهنمية التى لاتدل على إحساس ، وليست الكرامة إلا الزهو الذى لايعرف الندم . ولكن الرجل برغم ذلك كان مؤثراً .

(يأتى أحد رؤساء الحرس بجرانديير . وجرانديير فى زيه الكهنوتى الكامل ، يبدو أروع مايكون) .

جرانديير : عم صباحا ، سيدى الجراح .

مانورى : وصباح الخير لك .

جرانديير : رأيتك من قبل يا لوباردمنت.

لوباردمنت : يجب أن تعود إلى المحكمة فوراً .

جرانديير : حسنا جداً .

لوباردمنت : لتستمع إلى الحكم .

جرانديير : لقد فهمت .

لوباردمنت : ولذلك اطلب إليك الآن أن تخلع ملابسك

جرانديير : اخلع ملابسى ؟

لوباردمنت : انك لاتستطيع أن تذهب فى هذا الزى .

جرانديير : لست أحسب ذلك .

(يخلع جراندير قلنسوته ثم يشرع فى خلع الحرملة.
يدخل آدم مع بنتان . ويحمل آدم صينية فوقها
آنية بها ماء ، وبعض الزيت ، وموسى) .

جراندير : صباح الخير ، سيدى الصيدلى . ماذا تحمل ؟

آدم : (متلعثما) انه موسى.

جراندير : (بعد لحظة إلى لوباردمنت) هل يجب أن يتم بهذه الطريقة ؟

لوباردمنت : نعم هو أمر المحكمة .

(مانورى يتناول الموسى ويجريه على ابهامه) .

جراندير : عجبا سيدى الجراح . هل لم تنته بك دراستك وتجربتك كلها إلى غير هذا . إن سهر الليالى الذى انفقته فى دراسة وجود الوجود لم ينته بك إلى غير هذا . لتكون حلاقا .

لوباردمنت : هيا .

جراندير : لحظة .

(جراندير يمس خصلات شعره السوداء . ثم يداعب شاربيه بأصابعه) .

جراندير : هل عندكم مرآة ؟

لوباردمنت : كلا ، كلا . ليس عندنا بالطبع .

بنتان : خذ هذا .

(بنتان يتناول فنجانا فارغا من المعدن من فوق الصينية . يجلو قاعدة الفنجان بكمه ويسلمه لجرانديير. يقف جرانديير متطلعا إلى صورته طويلا وفى عمق شديد) :

مكان عام :
(جمهور كبير . من الريف ومن المدينة . يتثاءبون فى استرخاء وينادى كل منهم الآخر.
وعلى جانب مكان محجوز به بعض النسوة البرجوازيات فى رداء فاخر . تصدر عنهن ثرثرة :
ويرى كاتب وسط تلال من الكتب .
صمت مفاجىء . كل الرءوس تتجه نحونا .
ينهض الكاتب ، ويقرأ ما يلى) :

الكاتب : أربان جرانديير . لقد وجدت مذنباً لا تجارك مع الشيطان . وأنك استغللت هذا الحلف غير المقدس فى امتلاك نفوس بعض الأخوات التابعات لنظام القديسة أرسولا ، وغوايتهن والفسق بهن (وأسماؤهن مذكورة بالكامل فى هذه الوثيقة). وكذلك وجدت مذنباً لفجورك ، وتجديفك فى حق الله ، وانتهاك حرمات المعابد . وقد صدر

الحكم بأن تتقدم وتركع عند أبواب كنيسة القديس بطرس ومعبد القديسة أرسولا . وهناك وحول رقبتك الحبل ، وبين يديك رطلان من الشموع ، تطلب العفو من الله ، ومن الملك ، ومن العدالة . ثم صدر بعد ذلك الحكم بأن تساق إلى ميدان القديسة كروا حيث تشد إلى قائمة خشبية وتحرق حياً . وبعد ذلك يبعثر رمادك لتذروه الرياح .

وكذلك صدر الحكم أن تقام لوحة تذكارية في معبد أرسولين يخصم ثمنها — الذى لم يقدر بعد — من قيمة « ضيعتك المصادرة » .

وأخيراً قبل نفاذ الحكم تسأل ، سؤالا عادياً وسؤالا غير عادى .

صدر فى لودان فى الثامن عشر من أغسطس عام ١٦٣٤ . ونفذ فى نفس اليوم

(يظهر جرانديير فى الضوء رويداً رويداً . ويداه مغلولتان خلف ظهره . وهو يرتدى ملابس النوم وحذاء مكشوفاً ، وعلى رأسه قلنسوة وطاقية على شكل الجمجمة ، وبصحبته دى لوباردمنت ومانورى وآدم . وكذلك بارى ورانجير ومنيون ، الذين

يرشون الماء المقدس ، بالمنافض المقدسة ، وينشدون الأحكام الخاصة بإخراج الشياطين .
يتقدم دى لوباردمنت . ينزع عن رأس جرانديير القبعة والقلنسوة ويقذف بهما إلى الأرض . —
فينكشف جرانديير ، وهو حليق تماماً . فقد اختفت خصلاته الرائعة ، وشارباه ، بل وحاجباه .
يقف كالرجل المخبول الحليق .
تسمع قهقهات هستيرية مفاجئة من النساء اللائى كن فى المكان المحجوز .
صمت .
(جرانديير يوجه حديثه إلينا)

جرانديير : سادتى
إننى أشهد الآب والابن والروح القدس والعذراء أننى لم أكن قط ساحراً . إن السحر الوحيد الذى مارسته هو سحر الكتاب المقدس . أنا برىء .
(صمت . ثم همهمة من النسوة . وضحك سخيف)
أنا برىء ، وأنا خائف . اننى حريص على خلاصى . إننى مستعد لملاقاة ربى ، غير أن العذاب المريع الذى قضيتم به علىّ فى طريقى قد يدفع روحى البائسة إلى اليأس — إلى اليأس أيها

السادة وهو أخطر الذنوب . وهو أقصر للطرق إلى اللعنة الأبدية . انكم بحكمتكم لم تقصدوا قطعاً إلى قتل روحي ، ولذا فهل لى أن أرجوكم ، برحمتكم ، أن تخففوا عنى العقاب ولو قليلا .

(جرانديير يتفرس الوجوه . صمت)

حسناً جداً . عندما كنت طفلا رويت لى قصص الشهداء . وقد أحببت الرجال والنساء الذين ماتوا فى سبيل كرامة يسوع المسيح . وفى أوقات العزلة كثيراً ما تمنيت أن أكون من زمرتهم . والآن ، وأنا قسيس غافل مغمور ، لا أستطيع أن أزعم وضع نفسى بين هؤلاء الرجال العظام المقدسين . ولكن هل أستطيع أن أقول إنى آمل من كل قلبي ان الله سبحانه وتعالى ، أبانا فى السماء ، يعفو عنى بانتهاء هذا اليوم ، ويجعل آلامي تكفر عن حياتى الفوضوية الباطلة . اللهم آمين .

(صمت . ثم ينبعث صوت رجل من جهة ما وسط الجماهير يردد فى وضوح قول جرانديير آمين . ثم آخر . ثم صمت . ولا يسمع إلا صوت امرأة تبكى بكاء مراً)

ذي لوباردمنت: (إلى رئيس الحراس)
اخرجهم جميعاً من هنا .
(يشرع الحراس فوراً فى إخلاء المكان . ينصرف الجمهور من الردهات ، ويهبط السلم ، بعضهم يشكو ، وبعضهم يحتج :
يبقى جرانديير مع لوباردمنت والكاتب وبارى ورانجير ومنيون :
لم يتحرك جرانديير من مكانه وقد لبث مواجهاً للقضاه :
يرى دى سبريزاى ودارمنياك . وهما منفصلان ، يشاهدان المنظر .
دى اوباردمنت يواجه جرانديير . ويوجه إليه الخطاب) :

لوباردمنت : اعترف بجريمتك واذكر لنا أسماء رفيقاتك . بعدئذ ربما ينظر سادتى القضاه فى رجائك .

جرانديير : لا أستطيع أن أذكر أسماء رفيقات لم يكنّ لى : ولا أن أعترف بجرائم لم أرتكبها .

لوباردمنت : إن هذا الموقف لا يجديك نفعاً . بل سوف تعانى منه

جرانديير : أعلم ذلك . وأنا فخور .

لوباردمنت : فخور يا سيدى ؟ ان هذا اللفظ لا يلائم موقفك .

أستمع إلىّ يا عزيزى - فكوا وثاق يديه - إن هذه الوثيقة اعتراف بسيط . خذ هذا القلم ، ووقع باسمك على هذه الورقة . وبذلك نستطيع أن نتغاضى عن المرحلة التالية من الاجراءات .

جراندير : اعفنى من هذا يا سيدى . كلا .

لوباردمنت : لا أريد غير توقيعك . هيا . هذا كل ما فى الأمر .

جراندير : إن ضميرى يمنعنى من التوقيع على شىء يخالف الواقع .

لوباردمنت : إذا وقعت وفرت علينا جميعاً كثيراً من المتاعب . الوثيقة صادقة ولاشك (يصيح) إنها صادقة وقد ثبت ذنبك .

جراندير : أنا آسف .

لوباردمنت : أنا أخشى عليك يا جراندير . أخشى عليك كثيراً. ولقد رأيت قبلك من الرجال من وقف هذا الموقف الجرىء فى ظل « السؤال » وكانت تلك حماقة يا جراندير ، فكر مرة أخرى .

جراندير : كلا .

لوباردمنت : سوف تساق قبل موتك إلى الظلام . دعنى أحدثك لحظة عن الألم . يشق علينا جداً نحن الواقفين هنا ، وكلنا من الأصحاء ، أن نتصور اثر الألم المميت :

إن الشمس ترسل أشعتها الآن على وجهك دافئة . أليس كذلك ؟ وتستطيع أن تحرك أصابع قدميك إن أردت داخل حذائك المكشوف . انت رجل حي . وأنت تعلم ذلك، ولكن عندما يطرحونك أرضاً فى تلك الغرفة الصغيرة والألم يصرخ فيك كأنه صياح ، عندما يحدث ذلك يكون تفكيرك أولا هو هذا : كيف يصنع الإنسان ذلك بالإنسان؟ ثم : كيف يسمح به الله ؟ ثم : لا يمكن أن يكون هناك اله، ثم : ليس هناك آله . وبعد ذلك يقوى صوت الألم ، وتضعف إرادتك . ويكون اليأس يا جرانديير . وقد استعملت أنت نفسك هذه الكامة . وقلت عن اليأس إنه أخطر الذنوب . لا تنبذ الله فى هذه اللحظة . عد إلى نفسك . لأنك أسأت إلى الله إساءة كبرى . اعترف .

جرانديير : كــلا

دارمنياك : هل يجرى الدمع من عينى دى لوبار دمنت ؟

دى سيريزاى : أخشى ذلك .

دارمنياك : هل هو يعتقد فيما يقول ؟

دى سيريزاى : نعم . منظر مؤثر . أليس كذلك . ؟

لوباردمنت : (إلى جرانديير) حسناً جداً . أرجوك مرة أخرى .
مرة أخرى . هل توقع ؟
(جرانديير يهز رأسه) .

لوباردمنت : (إلى جرانديير) حسناً جداً . أرجوك مرة أخرى.
مرة أخرى . هل توقع ؟
(جرانديير يهز رأسه)

لو باردمنت : ابعدوه .

(الحرس يحيط بجرانديير)

جرانديير : عندي مطلب واحد .

لوباردمنت : ما هو ؟

جرانديير : هل يمكن أن يرافقني الأب امبروز ؟

لوباردمنت : كلا .

جرانديير : إنه رجل عجوز لا ضرر منه . ولن يقف في سبيلك .

لوباردمنت : لقد غادر المدينة ، وأرسلناه بعيداً عنها . إن كنت تريد روحانيا وجه خطابك إلى أحد هؤلاء السادة .

(جرانديير يحدق في باري ورانجير ومنيون لحظة قبل أن ينصرف مع الحرس . يتبعه دى لوباردمنت والكاتب) .

منيـــون : لقد كان الرجاء الأخير لمندوب الملك مؤثراً .

رانجير : جداً .

باري : أعتقد أنكم تفهمون من رفض جرانديير للتوقيع أنه دليل نهائي على جريمته .

منيـــون : أجل . أجل . أظن ذلك .

باري : لقد كمم الشيطان فمه ، وأدخل على نفسه العناد ضد الندم .

منيـــون : طبعاً . هذا هو السبب .

باري : هل ننصرف ؟

(باري ورانجير ومنيون ينصرفون)

دارمنياك : تعال معي إلى بيتي يا دي سيريزاي

دي سيريزاي : ليكن ذلك يا سيدي .

دارمنياك : سنجلس معاً ونفكر في حوادث النهار : ونحن — فيما أعتقد — رجلان عاقلان . نجلس — ونشرب . نعم ، سوف نشرب حتى نسكر . ويبلغ بنا السكر أن نتصور الرؤى . هيا بنا .

(دارمنياك ودي سيريزاي ينصرفان) .

(حديقة . تدخل جان . عارية الرأس . ولا ترتدي سوى قميص داخلي بسيط أبيض . وتبدو كالطفلة بجسمها الصغير المشوة . حول رقبتها حبل وفي

يدها شمعة . تقف ساكنة بغير حراك . كلير
وجبرائيل ولويز يتجمعن على بعد من جان ،
ويراقبنها فى ذعر شديد . ثم تتقدم نحوها كلير)

كلير : تعالى يا أمى .

جان : كلا يا بنيتى .

كلير : إن الشمس حامية جداً بعد المطر . ولن تفيدك .

جان : ابحثى لى عن مكان — لا يكون مرتفعاً جداً —
حيث أستطيع أن أربط هذا الحبل . فأنا فى سبيل
البحث عن مثل هذا المكان .

كلير : كلا ، يا أماه . هذا أفظع ذنب .

جان : ذنب ؟

كلير : نعم .

(كلير تحل عقدة الحبل وتبعده . وتتقدم لويز
بعباءة تلف بها جان) .

لويز : لا تفزعينا يا أمى .

جان : لقد تيقظت ليالى متوالية على صوت بكاء . وقد
جست خلال المكان على اعثر على الباكى . فإن
بين جنبى قلباً كغيرى من الناس . ويمكن أن أنهار
من مثل هذا البكاء .

لويز : ليس البكاء لأحد هنا .

جـان : لم يطرأ لى قط أن بالامكان للمرء أن يعانى مثل هذا اليأس وهذه الكآبة .

لويز : ولكن ليس هناك أحد .

جـان : لا أحد ؟

كلير : إنه الشيطان . فهو يستطيع أن يشهق إذا طلب إليه ذلك . نعم يا أمي . فكرى فى الأمر . إن الأب جرانديير يتمنى أن ترافقيه إلى الجحيم . ولذا فهو يوعز إلى الشيطان أن يصيح بالليل ويحطم قلبك ويدفعك إلى أن تضعى الحبل حول رقبتك لتشنقى نفسك . لا تجعلى للخديعة إليك سبيلا .

جـان : أليس هناك مفر ؟ وهل هى كلير التى تتحدث ؟ كلير التى تعودت أن تحدثنى عن براءة المسيح ؟ كم الساعة ؟

لويز : جاوزت الثانية عشرة ظهراً بوقت قصير .

جـان : أتركونى جالسة هنا . وأعدكن ألا أوذى نفسى . أتركونى .

(كلير ولويز وجبرائيل ينصرفن ، ويتركن جان وحيدة) .

ويشق الصمت صوت ممقوت لمطرقة تدق . صياح)

(فى الغرفة العليا . جراندير ممتد فوق الأرض ، موثوقاً بالحبال . وساقاه من الركبتين إلى القدمين محفوظتان فيما يشبه الصندوق . داخل الصندوق ألواح متحركة ، تدفعها إلى الداخل أوتاد ضخمة ، تسحق ساقيه .
بنتان يطرق الأوتاد إلى الداخل .
ما نورى وآدم ومنيون يجثمون فى الغرفة السفلى .
وينحنى إلى الأمام بارى وهو يجلس عند رأس جراندير) .

باری : هل تعترف ؟

(يهز جراندير رأسه علي مهل . ثم يتجه باری ببصره نحو لوبا ردمنت الذى يستند إلى الحائط)

لوباردمنت : (لبونتان) غيره (١) .

(يلتقط بونتان وتدا آخر ولكن سرعان ما ينتزعه رانجير من يده)

رانجير : لحظة . (يرش على الوتد ماء مقدساً ، ويرسم فوقه علامات)

---

(١) يقصد طرقة اخرى

ضروري جداً . لأن الشيطان عنده من القوة مايجعل الألم أخف مما ينبغي .

بنتان : هل أنتهيت ؟

رانجير : نعم .

(يسلم الوتد لبونتان ، الذي يدقه) .

باري : اضرب . اضرب .

(يدق بنتان بالمطرقة . صيحة في الغرفة السفلى) .

مانوري : ما مقدار ما يستطيع أن يلفظ الإنسان في نفس واحد ؟

آدم : لست أدري .

مانوري : إني أتعجب .

آدم : لا يطرأ على بالك عندما تشرع في أمر أن— هو... م

مانوري : ماذا تقول ؟

آدم : لا شيء . إنما أنا أفكر بصوت مسموع .

(ضربة بالمطرقة . باري ينحني إلى الأمام)

باري : إعترف .

جرانديير : أنا على أتم استعداد لأن أعترف بذنوبي الحقيقية .

كنت رجلا . وأحببت النساء وكنت فخوراً
بنفسى . وكنت أتطلع إلى السلطة .

باري : ليس هذا ما نريد . كنت ساحراً ، وكانت لك مع
الشيطان تجارة .

جراندير : كلا . كلا .

باري : غيره . أوه . سلمنى الوتد والمطرقة .

(باري ينتزع الوتد والمطرقة من بنتان . وبضربتين
قويتين يدق الوتد دون أن يظهر من الشياطين .
يرن صدى صياح جراندير فى الحديقة حيث
تجلس جان وحيدة)

جـــان : إن المرء لا يجد الله إلا فى الأعماق السحيقة .
أنظروا إلىّ . أردت أولا أن ألقاه فى البراءة .
فلم يكف هذا . ثم كان الكذب والتمثيل . وكان
الاثم وكانت الذلة . فلم يكف هذا . ثم كانت
الحركات البهلوانية التى قمنا بها لاعين القسس
الشهوانية . ياللقذارة . إن ذلك لا يكفى . لابد من
التعمق ، والتعمق السحيق .

(رنين المطرقة . صوت جراندير)

جراندير : إلهى ، إلهى ، إلهى . لا تتخل عنى . لا تجعل هذا
الألم ينسينى اياك .

جـــان : فى الأعماق . فى الأعماق . فى غفلة البلهاء . حيث لافكر ، ولا شعور . حيث لا شىء . هل يوجد الله هنا ؟

(الغرفة العليا . يتقدم دى لوباردمنت)

لوباردمنت : ابعدوه . لا فائدة .

(بارى ورانجير وبنتان يحملون جرانديير من الصندوق ، ويجسونه فوق مقعد بغير ظهر . يغطى بنتان ساقى جرانديير المحطمة بسجادة صغيرة . جرانديير يحدق فى نصفه الأسفل) .

جرانديير : Attendite et videte si est dolor sicut dolor meus. (1)

(جان ينهض)

جـــان : أين أنت ؟ أين أنت ؟

(جان تخرج من الحديقة
بارى ورانجير يهبطان إلى الغرفة السفلى) .

آدم : هل من فائدة ؟

بارى : كــــلا

مانورى : لا اعتراف .

بارى : كـــلا

---

(١) ومعناها بالعربية : اصغوا وانظروا ، ان كان هناك حزن مثل حزنى

آدم : عجباً .

باری : السبب معقول جداً .

مانوری : ما هو ؟

باری : دعا ربه أن يهبه القوة . وربه هو الشيطان . وقد فعل :
جعله لا يحس الألم ولن نصل إلى نتيجة بهذا الشكل.

آدم : لا يحس الألم ؟ وماذا كانت كل تلك الصيحات ؟

باری : سخرية

(باری ومنيون ورانجير يهبطون إلى الشارع)

(الغرفة العليا) :

جراندير : لا تأبهوا بهذه الدموع . ليست سوى دليل على الضعف :

لوباردمنت : هل هذا هو تأنيب الضمير ؟

جراندير : كــلا

لوباردمنت : اعترف

جراندير : كلا . هناك أمران لا ينبغي أن يطلب الى الرجل أداؤهما أمام الآخرين . مضاجعة المرأة ، ومكابدة الألم . وأنتم أيها الناس تعرفون كيف تنزلون على

الأرض الجحيم لرجل مثلى . ذلك انكم تجعلون كل شيء علنياً .

لوباردمنت : هذا غرور منك يا أبي .

جرانديير : هل هو كذلك ؟ لست أظن ذلك . إنما الرجل شيء خاص بنفسه . فهو ملك ذاته . وهاتان التجربتان الشخصيتان : الحب والألم ليس لهما بالعامة شأن . كيف تهمانها ؟ لأن العامة لا تحسهما .

لوباردمنت : إن عامة الناس تتألف من أرواح مسيحية . وهناك ستة آلاف منهم ينتظرونك فى ساحة السوق . خبرنى . هل تحب الكنيسة ؟

جرانديير : من كل قلبي .

لوباردمنت : هل تريد أن تراها أقوى نفوذاً وأكثر إحسانا ، حتى تشمل كل روح بشرى فوق الأرض ؟

جرانديير : لكم أتمنى ذلك .

لوباردمنت : إذن عاونا على أن نحقق هذا الهدف العظيم . إذهب إلى ساحة السوق رجلا نادماً . واعترف . وباعترافك أعلن لهذه الآلاف أنك عدت إلى أحضان الكنيسة . أما إذا ذهبت إلى الألواح الخشبية تحرق فوقها وأنت غير نادم فإنت تسيء إلى الله . إنك

تدخل الأمل فى قلوب المتشككين والملحدين . إنك تدخل السرور إلى نفوسهم . إن مثل هذا العمل يهدا الكنيسة من أساسها . فكر فى الأمر . لم تعد رجلا هاماً . هل لك أهمية بعد هذا ؟

جراندير : كـــلا

لوباردمنت : وإذن فلتصدر عنك إشارة عظيمة أخيرة من أجل العقيدة الكاثوليكية .

(صمت . دى لوباردمنت ينحنى إلى الأمام مشغوفاً . ثم يرفع جراندير بصره إلى أعلى . وترتسم على وجهه ابتسامة الألم) .

جراندير : هذه سفسطة يا لوباردمنت . وأنت أذكى من أن تجهل ذلك .

اثن على كما اثنيت عليك .

لوباردمنت : هل تستطيع أن تضحك ؟ الآن ؟

جراندير : نعم لأننى أعلم بالأمر منك .

لوباردمنت : حينما أقول لك يا جراندير —

جراندير : لا تصر . إننى أستطيع أن أهدمك . على الأقل فى الجدل . احتفظ بأوهامك يا سيدى المندوب .

إنك فى حاجة إليها كلها لتتعامل مع الرجال الذين سوف يأتون من بعدى .

لوباردمنت : اعترف .

جراندير : كــلا

لوباردمنت : اعترف

جراندير : كــلا

لوباردمنت : وقّع

جرانديــر : كــلا

(دى لوباردمنت يتجه نحو الباب . ينادى لمن بأسفل السلم)

لوباردمنت : أرسلوا إلى الحراس هنــا

الشارع

(الجمهور يحملق على بعد . والناس صامتون يتنقلون . قلقون . أنفاسهم معلقة . يقبل عليهم باري ورانجير ومنيون . رانجير ومنيون يرشان الماء المقدس ويرتلأن أناشيد إخراج الشياطين . باري يتحرك وسط الجمهور ، ويمسك الرجال

والنساء من أذرعتهم . ويتحدث إلى كل منهم
على انفراد) .

باری : أبنائى الأعزاء ، إنكم توشكون أن تشهدوا ذهاب
رجل شرير غير تائب إلى جهنم . أرجوك —
أنت يا سيدى — أن تدخل المشهد فى قلبك .
وليكن درساً لك يلازمك — أيتها المرأة الطيبة —
طوال حياتك . اشهدوا هذا الساحر صاحب السمعة
السيئة ، الذي اتفق مع الشياطين واسأل نفسك —
يا بنى — هل هذا هو مصير المرء إذا استهان بالله ؟
(طبول . جرانديير يصبح على مرأى . يجلس على
مقعد مهشم ، حتى ليكاد أن يكون حطاماً ،
ويحمله أربعة من الجند . يلبس قميصاً مشحوناً
بالكبريت ، أصفر فاقع ، وحول رقبته حبل .
وساقاه المحطمتان تتدليان . إنه كالدمية المضحكة
المهشمة ، بغير شعر . ويسير إلى جواره الكاتب .
يتبعه دى لوباردمنت والجند)

دير القديسة أرسولا

(الموكب يصل إلى باب البيت ، ثم يتوقف عن

المسير . يضع الكاتب رطلين من الشمع بين
يدى جراندير) .

لوباردمنت : يجب أن تنزل هنا .

جراندير : أي مكان هذا ؟

لوباردمنت : إنه دير القديسه أرسولا . مكان دنسته

(يرفع أحد الجند جراندير من فوق المقعد المحطم
وكأنه طفل ، ويضعه على الأرض)

لوباردمنت : أدّ ما يجب أن يؤدى .

جراندير : فى هذا المكان الغريب المجهول أسال العفو من الله ،
ومن الملك ، ومن العدالة أرجو أن ــ

(يقع منكفئاً على وجهه ، ويصيح)

Deus meus, miserere mei Deus ! (1)

ينفتح باب الدير ومن مدخله المظلم تظهر جان
وجبرائيل وكلير ولويز)

لوباردمنت : أطلب العفو من رئيسة الكاهنات ، ومن هؤلاء
الأخوات الطيبات .

جراندير : من هؤلاء النسوة ؟

---

(١) ومعناها بالعربية : أى ربى ، ارثى لحالى ، ايها الرب .

اوباردمنت : هم القوم الذين أسأت إليهم . أطلب العفو منهن .

جراندير : إننى لم أقدم إليهن اساءة . وليس بوسعى إلا أن أسأل الله أن يعفو عنهن .

(صمت مطلق عندما تحدق جراندير وجان ، كل منهما فى الآخر) .

جـــان : كانوا دائماً يتحدثون عن جمالك . والآن اشهده بعينىّ ، وأومن بأنه حق ؛

جراندير : أنظري إلى هذا الذى صرتُ إليه . وتعلمى معنى الحب .

(طبول . يرفع جراندير مرة أخرى فوق المقعد . ويتحرك الموكب مبتعداً . جرس ضخم يدق .

أصوات ترتفع .) Dies irae, dies illa,
Solver saeclum
in favilla, teste David cum Sybilla.
Quantus termor est futurus, quando (١)
judex est venturus, cuncta stricte discussurus.

(جان وحيدة تتقدم . ظلام)

---

(١) ومعناها بالعربية : ان يوم الغضب ، ذلك اليوم سوف ياتى على الجنس البشرى فى الرماد الحامى بشهادة داود وسوبيلا « عرافة اسطورية رومانية» ما أعظم الرعب الذى سوف يحدث عندما يأتى القاضى الذى سوف يتناول كل شىء بحديث صاف محكم

طرقات لودان . بالليل

(وكأن المدينة تحترق . المبانى البعيدة ترى كالظلال وسط سماء شديدة الحمرة . وباب الكنيسة مفتوح وكأنه ثغرة كبريتية . ويرى رجال مسلحون يحملون الأعلام ويعبرون قنطرة . ورجل يتسلق سلماً خشبياً . يلوح عن بعد فى حزن لارجاء فيه .
والجمهور الذى كان يراقب جرانديير على بعد — قد تشتت ، وأخذ يندفع ، فى حالة هستيرية ، يصيح ، ويضحك ، فى الطرقات .
جان تتجول وحدها .
مانورى وآدم)

مانورى : عجيب جداً .

آدم : أي شيء ؟

مانورى : شحم الإنسان الذى تصيره الحرارة شيئاً يشبه الشمع ، ثم يشتعل لهيباً له لون يخطف البصر .

آدم : كل شيء غريب جداً .

مانورى : ولكنه مشوق . أعتقد يا آدم أنه لو كان فى عملك كصيدلى شيء جميل ، فهو فى هذه الناحية . الست ترى معى ذلك ؟

آدم : ربما

(ينصرفان
باري ومنيون ورانجير)

باري : ثقوا أنه في الجحيم .

منيون : إنه يشوي هذه الليلة .

باري : ياله من رجل مخيف ، لا يعرف التوبة .

رانجير : هل تعلمون إنني رأيت نساءه قابعات هناك يراقبن . صحيح إن أحداهن كانت تبكي . ولكنها كانت ترقب ، ولم تغض النظر قط .

باري : شياطين . كلهن شياطين . ما بك ؟

منيون : لا أشعر بتمام الصحة .

باري : (يضربه على ظهره) ربما ابتلعت شيئاً من الدخان.

منيون : سأذهب إلى فراشي الآن إن سمحتم .

باري : كلنا سنأوى إلى الفراش يا منيون . أما كم نلبث في الفراش فأمر يتوقف على الشيطان الصديق . نعم لقد قهرناه وبسطنا السلام في هذا المكان اليوم . ولكن ثق أنه حتى في هذه اللحظة يعود متسللا . آه يا أصدقائي الأعزاء . إن أمثالنا من الرجال لن يتبطل عن العمل قط .

(ينصرفون
فيليب ترانسانت فى حمل بشع ، وتتحرك متثاقلة
وهى تقود « الرجل العجوز » من يده)

فيليب : هيا بنا إلى البيت يا زوجى العزيز . يجب أن تسارع الخطى . ماذا ؟ (الرجل العجوز يهمس فى أذنها) هل أثارك كل هذا الذى شهدت اليوم (يهمس مرة أخرى) نعم ، سوف تفعل ما بدا لك . وسأقوم لك بكل ما أستطيع . امسح فمك . إن أمامنا سنوات كثيرة سعيدة . ماذا ، نعم ، بالتأكيد هناك طريق . وسوف أدور وأدور من حولك . وحق يسوع سوف أفعل . سوف أريك ألاعيب . لذلك هيا بنا إلى البيت يا عزيزى .

(فيليب والرجل العجوز ينصرفان
دارمنياك وسيريزاى . مخموران) :

دارمنياك : لا ينبغى لنا أن نفعل هذا يا دي سيريزاى . نحن العقلاء التقدميين فى عصرنا . يجب أن نكون حازمين .

دى سيريزاى : صدقت

دارمنياك : حازمين فى هذا الاتجاه أو فى غيره . لست أدرى

أيهما . لماذا يمتلىء الجو بالحشرات هذا المساء؟
ماذا كنت أقول ؟

دي سيريزاي : يجب أن نكون حازمين .

دارمنياك : ونثبت ارادتنا

دي سيريزاي : فيم ؟

دارمنياك : فيما نعتقد .

دي سيريزاي : وماذا نعتقد ؟

دارمنياك : اسألني غداً . هل أنا مجنون ؟ هل كانا يرتكبان الفاحشة فى عرض الطريق هناك ؟ وماذا كانت تلك المرأة العجوز تحمل فى سلتها ؟ هل هى بقايا إنسان ؟ ولمادا كان ذلك الحيوان يقود انساناً بحبل ؟ ما هذه الرائحة الغريبة الحلوة التى تفوح فى المكان ؟ ومن هذا الموسيقى المنكب مصلوبا فوق القيثارة ؟ ما معنى هذا كله يادى سيريزاي ؟ يجب أن نفسر الأمر باعتبارنا من العقلاء .

دى سيريزاى : لا أستطيع ذلك .

دارمنياك : ولا أنا . ولذا أرجو أن تأخذنى إلى بيتى .

(ينصرفان

جان يؤدى بها تجوالها فى الطرقات إلى عامل المجارى)

العامل : بعد ما انتهى الأمر بدّدوه بالجاروف شمالاوجنوباً وشرقاً وغرباً .

جان : هل تعلم من أنا ؟

العامل : نعم سيدتى ، إنى أعرفك .

(بعض افراد الجمهور يمرون . يقتتلون فيما بينهم من أجل أشياء تنتقل من يد إلى أخرى)

جان : ماذا يفعلون ؟

العامل : إنهم يلتمسون أجزاء من الجسم .

جان : لتكون عندهم آثاراً ؟

العامل : لا تحاولى أن تواسى نفسك . كلا . إنهم يريدونها تعاويذ . وفرق بين التعويذة والأثر كما تعلمين (ينتزع عظمة محترقة من يد أحد الرجال) إنهم لا يريدون أن يعبدوا هذه . إنما يريدونها ليعالجوا بها الإمساك أو الصداع ، أو لتسترد لهم رجولتهم أو زوجاتهم . يريدونها للحب أو للكراهية (يقدم إليها العظمة) هل تريدينها لأمر ما ؟

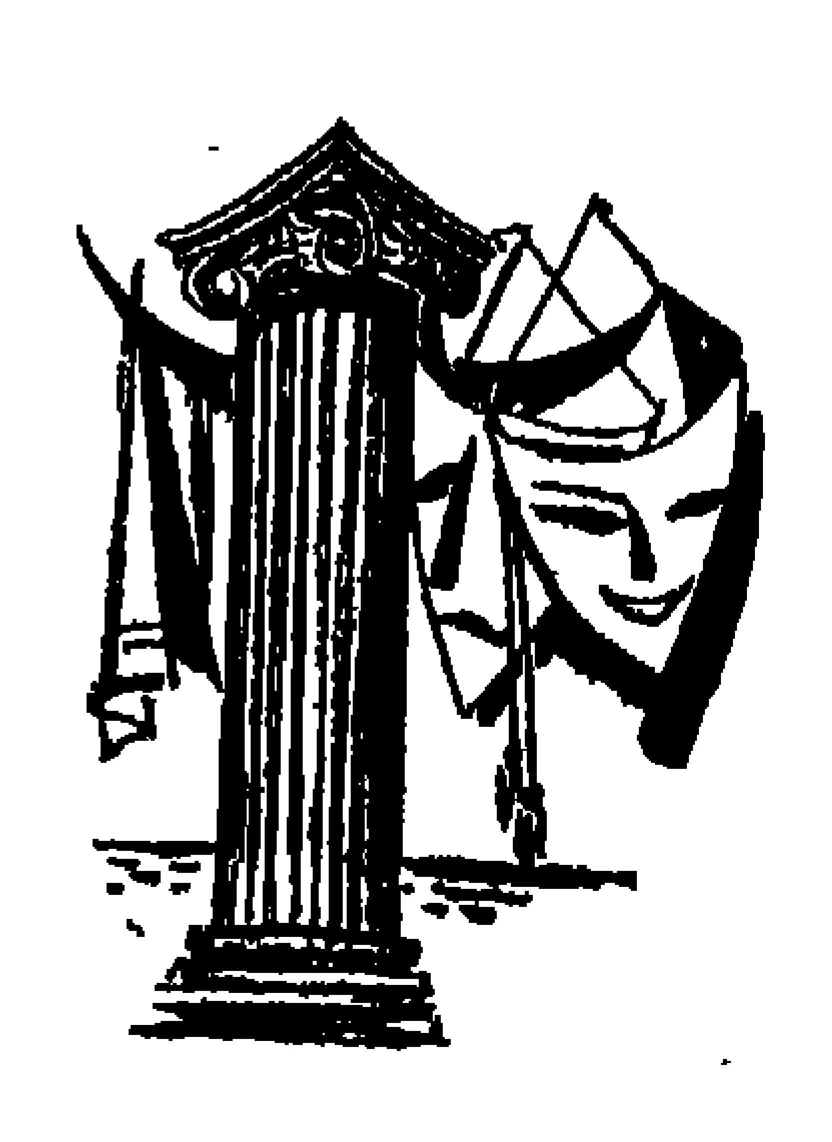
(جان تهز رأسها . يتشتت الجمهور . وينصرف

العامل . جان وحيدة . تصيح بصوتها الشخصى .)

جـــان : جراندير ! جراندير !

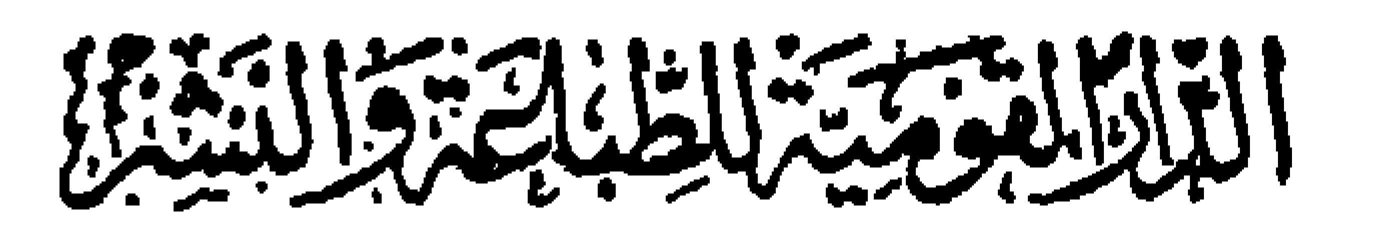
(صمت)

ستـــار



الفهرس

صفحة


الدار القومية للطباعة والنشر



المؤلف

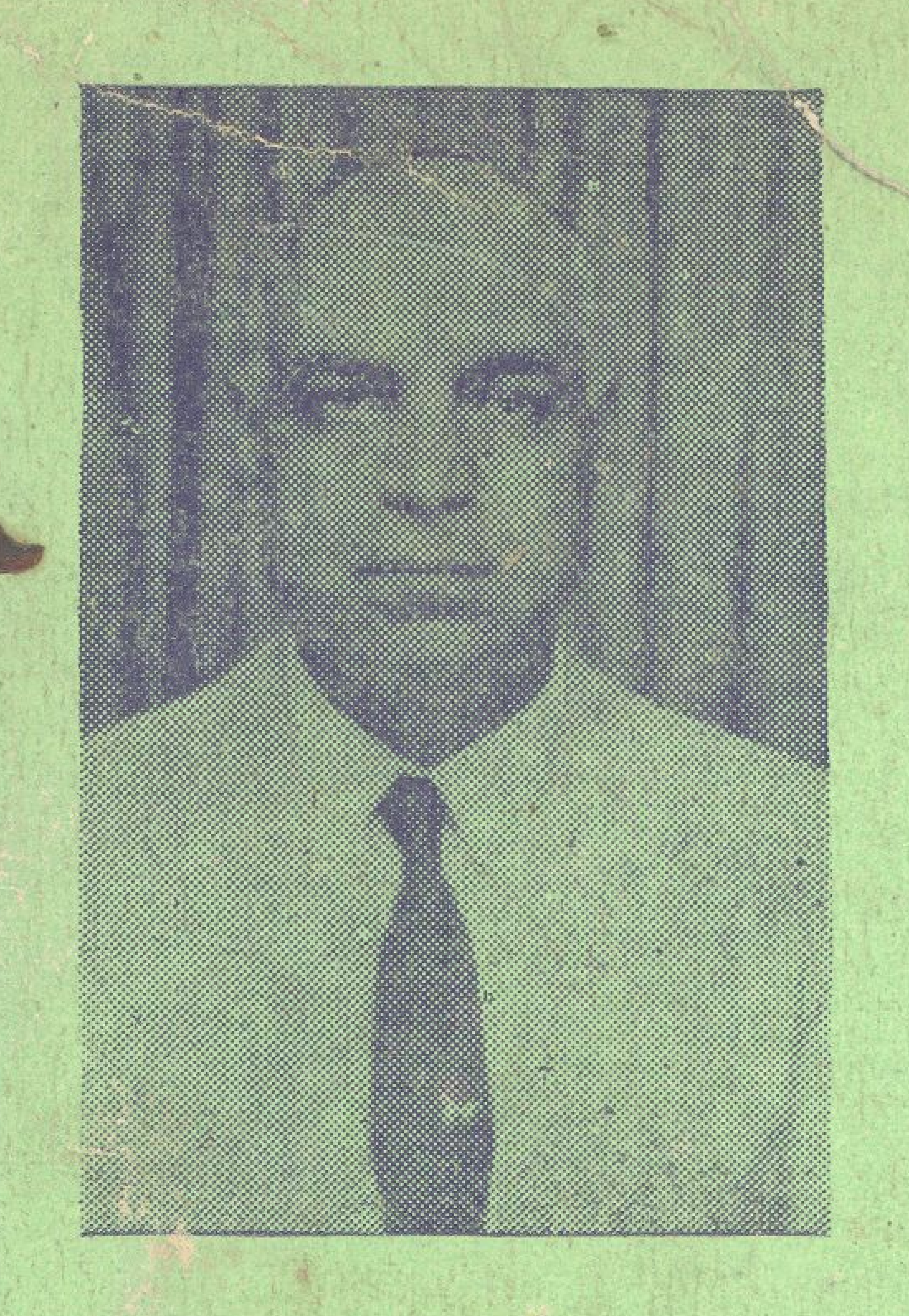
جون هوايتنج ...

ولد فى سنة ١٩١٧ بسولزيرى بانجلترا والتحق بالاكاديمية الملكية للفنون المسرحية واشتغل بالتمثيل ثم التحق بسلاح المدفعية ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عاد للمسرح ... وكرس وقته للتأليف المسرحى وكان يكتب مسرحياته بروح الشاعر المتقن لفنه .

ومن مسرحياته « الأغنية بقرش » سنة ١٩٥١ ، و « نشيد المشاة » ١٩٥٤ ، و « أبواب الصيف » ١٩٥٦ و « يوم القديسة » التى نال عليها جائزة مجلس الفنون البريطانى و « بغير سبب » وغيرها .

وكتب للسينما والتليفزيون عدة مسرحيات منها «جولة فى الصحراء» وهذه المسرحية « الشياطين » وقد لاقت نجاحا منقطع النظير على المسرح بلندن ١٩٦١

ومات بالسرطان عام ١٩٦٣ ولقدكان من الرواد المجددين الذين فقدهم المسرح الانجليزى .



المترجم

الاستاذ محمود محمود

تخرج فى المعلمين العليا سنة ١٩٣٠ وتخصص فى اللغة الانجليزية وآدابها فى جامعة اكستر بانجلترا ويشغل الآن منصب عميد تفتيش اللغة الانجليزية لوزارة التربية والتعليم .

وقد ألف كتابا فى « الأدب الانجليزى » وآخر فى « التحليل النفسى » و «اعلام فى العصر الحديث» ومما ترجم وهو كثير « ال... والتر سكوت و «الوسا... و « العالم الطريف » لال... و « تاريخ الفكر الغربى... برنتون و « آراء فلس... و « سقراط » لميسون... السليم » لأريك فروم و... تولستوى » وغيرها .

كما اسهم بعشرات ... مجلات « الرسالة » و « ... و « المجلة » و « تراث الانسانية » و « الفكر المعاصر » وغيرها .

